إتمامُ المأمول

بشرح

ثلاثة الأصول

الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الريس

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثانية ١٤٤٧هـ

المحتويات

مقدمة المؤلف ٦
مراد المصنف من رسالة الأصول الثلاثة ٧
العلم الممدوح في الكتاب والسنة ٩
الغلو في العلوم الدنيوية ٩
الراحة التي يجدها المشتغل بالعلم الشرعي ١٠
إهمال العلم الشرعي كان من أهم أسباب تفشّي الزندقة والكفر ١٠
الناس في العلم ثلاثة: مجتهد، ومقلد، ومُتَّبِع ١١
فرقٌ بين تقليد المتون الفقهية وتقليد العالم ١٣
متى تكون الدعوة واجبة ١٦
اقتران الدعوة بالصبر ١٦
معنى كلمة الشافعي في سورة العصر ١٨
الدعوة بلا علم ضلال، ولو اهتدى من اهتدى ١٨
وسائل الدعوة توقيفية أو غير توقيفية؟ ١٩
بعض الأمثلة على وسائل الدعوة البدعية ١٩
الفرق بين البدع والمصالح المرسلة ٢٢
بداءة التعليق على الأصول الثلاثة ٢٤
ملخص الأصول الثلاثة ٢٤
موقف كفار قريش من توحيد الربوبية ٢٥
الولاء والبراء على التوحيد ٢٥
ذم التحزُّب على غير الدين ٢٦
المُحادَّة لله قسمان ٢٧
وجوب هجر ومُعاداة الكفار وأهل البدع ٢٧
أخطأ في هجران أهل البدع طائفتان ٢٨

شبهة: كيف نبغض الكفار وقد أباح الله الزواج من الكتابيات؟ ٢٩
معنى الحنيفية ٣٠
معنى العبادة ٣١
أهمية ضبط معنى العبادة ٣٢
أهمية التوحيد وخطورة الشرك ٣٣
أسئلة القبر الثلاثة ٣٥
معرفة العبد ربه ٣٦
الفرق بين الآيات والمخلوقات ٣٧
العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية ٣٨
كشف شبهة المشركين المتأخرين في تفسير التوحيد بالربوبية ٤٠
أنواع العبادات ٤٢
دعاء العبادة ودعاء المسألة ٤٢
الأفعال المُتعبَّد بها نوعان ٤٣
معنى قوله سبحانه: ﴿لا برهان له به﴾ ٤٦
شبهة تجويز دعاء غير الله استدلالًا بقولنا في التشهد: (السلام عليكم أيها النبيّ) ٤٨
تنبيه: إذا أُثبت لله شيء فلا يكون خاصًّا به إلا بدليل ٤٩
هل يجوز التوكل على غير الله؟ ٥١
الفرق بين الخشية والخوف ٥٢
دعاء (أعوذ بكلمات الله التامات) يدلُّ على أنَّ كلام الله غير مخلوق ٥٥
التفريق بين الذبح لغير الله والذبح للضيف ٥٦
النذر عبادة، ولازم جعله مكروهًا أن يكون صرفه لغير الله ليس شرك ٥٧
التعليق على بعض الأدلة التي يُستدل بها على جواز إطلاق أمور على الله وعلى غيره ٥٨
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ٥٩
معنى الإسلام ٥٩
أركان الإسلام ٦٢
معنى (لا إله إلا الله) ٦٢

تفسير كلمة التوحيد في القرآن ٦٣
معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ٦٤
تنبيه على تعريف شهادة أنّ محمدًا رسول الله ٦٤
الفرق بين عمل القلب وقول القلب ٦٦
الأصل في العبادات الحظر والمنع ٦٧
السنة التَّركية ٦٨
إذا تعارض النص العام أو القياس مع السنة التَّركية فيكون فاسدًا ٦٩
السنة التَّركية نوعان ٦٩
مرتبة الإيمان ومعناه ٧١
أركان الإيمان ٧٢
مرتبة الإحسان ومعناه ٧٣
أركان الإحسان ٧٤
الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ ٧٦
الرد على دعوى أنَّ الإمام المجدد لا يُعظِّم النبي ﷺ ٧٦
نسب النبي ﷺ ٧٧
مولد النبي ﷺ ٧٨
بعثة النبي ﷺ ٧٨
من أساليب الإمام المجدد في الدعوة للتوحيد ٧٩
معراج النبي ﷺ إلى السماء ٨٢
الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ٨٣
حكم الهجرة ٨٤
ضابط إظهار الدين ٨٤
حكم الهجرة فيمن استطاع إظهار دينه في بلد الكفار ٨٥
وفاة النبي ﷺ ٨٦
بُعث النبي ﷺ للناس كافة، ولا خير أو شر إلا بيَّنه لأمته ٨٦
إكمال الدين ٨٧

البعث بعد الموت..... ٨٩
سبب ذكر المصنف لمسائل البعث والنشور ٨٩
الحجة تقوم بإرسال الرسل لا بالعقل ولا بالفطرة..... ٨٩
أول الرسل وأول الأنبياء..... ٩٠
معنى الطاغوت..... ٩٢
بعض أنواع الطواغيت..... ٩٣
تنبيه: اعتقاد أنَّ علم الغيب خاص بالله لا يتنافى مع دلالة الرؤى والمنامات ٩٤
أنواع الفراسة ٩٥
الحكم بغير ما أنزل الله ٩٥
لا يصح أن يُنسب للإمام المجدد التكفير بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله ٩٦
الرد على استدلالات دعاة حرية الاعتقاد ٩٦
فهرس المراجع والمصادر ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد ألقيت درسًا [١] في شرح رسالة (**الأصول الثلاثة**) لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقام بتفريغه بعض الإخوة ووضعوا له فهرسًا، ثم قمت بمراجعته مرةً أخرى وأضفت عليه بعض التعديلات مع توثيق النقولات عن السلف وأهل العلم وأسميته: (**إتمام المأمول شرح ثلاثة الأصول**).

أسأل الله أن ينفع بهذا الشرح وأن يجعله ذخرًا يوم لقائه، إنه الرحمن الرحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

http://islamancient.com

١٨ / ٣ / ١٤٤٧هـ

---

(١) عام ١٣٣٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(المتن)

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في رسالة "**الأصول الثلاثة وأدلتها**":

اعلم رحمك الله ـ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر ١: ٣].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم".

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: من الآية١٩] **فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.**

(الشرح)

المراد بـ" **ثلاثة الأصول** " معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأصول الثلاثة إجمالًا ثم فصلها، وضم إليها مسائل أربع ثم مسائل ثلاث.

ويحتمل ألا يكون ألحقها الإمام المصنف المجدد بالأصول الثلاثة بل بعض تلاميذه، قال ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وذكر المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم**

ذكرها بعد ذلك مفصلة أصلا أصلا، تتميما للفائدة، وتنشيطا للقارئ، فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها وضبطها بقيَ متشوقا إلى معرفة معانيها وهي المقصود بهذه النبذة وما تقدمها من المسائل فلعل بعض تلاميذه قرنها بها" [(١)].

وسواء كان الملحق لها الإمام المصنف أو غيره، فإنه من المهم دراسة هذه المسائل الأربع ثم دراسة المسائل الثلاث ثم ثلاثة الأصول التي هي المقصد.

والمسائل الأربع هي:

المسألة الأولى: العلم.

والمسألة الثانية: العمل بهذا العلم.

والمسألة الثالثة: الدعوة إليه.

والمسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

وهذه هي المسائل الأربع، سهلةٌ للغاية واستدل الإمام المصنف عليها بسورة العصر قال سبحانه: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ١-٣].

الأولى: العلم: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، ويراد به العلم.

الثانية: العمل به ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾.

والثالثة: الدعوة إليه ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**﴾، بأن ينصح بعضهم بعضًا، ويستوصي بعضهم ببعض في الحق وهذا هو الدعوة.

المسألة الرابعة: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾، بأن صبروا على تبليغ الدين والدعوة إلى الله سبحانه.

هذه هي المسائل الأربع التي ذكرت قبل الأصول الثلاثة وقبل المسائل الثلاث.

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة (ص: ٣٩).

وفي المسألة الأولى ذكر العلم، والمراد بالعلم العملُ الممدوح في الكتاب والسنة وهو العلم الشرعي، كما بيّن هذا الإمام ابن القيم في " **مفتاح دار السعادة** "[(١)] وابن قاسم في حاشيته[(٢)]، وهو الذي أرسل الله به محمدًا ﷺ وقد بين ابن القيم في " **مفتاح دار السعادة** "[(٣)] أنه يخطئ من يزعم أن تعلم العلوم الدنيوية كالطب والهندسة وغيرها من باب فروض الكفايات، وذكر أنه ليس هناك ما يدل على أن تعلم هذه العلوم الدنيوية فرضُ كفاية.

قارن كلام الإمام ابن القيم هذا بغُلُوِّ أهل عصرنا في هذه العلوم الدنيوية حتى تأثر بعض الطيبين والصالحين فصار عندهم غلو، إما لأنهم أرادوا رفعةً دنيوية -وهذا هو العلو في الأرض-، أو أرادوا مصلحةً دنيوية بكثرة مالٍ وغير ذلك، فكم رأينا شبابًا متدينين دخلوا هذه التخصصات ومع مرور الأيام تغيروا في دينهم واستقامتهم بسبب الذين يعاشرون ممن أكثر حديثهم وهمهم الدنيا، فامتلأت قلوبهم حبًا للدنيا تبعًا لمن يعاشرون.

ومن صور الغلو في العلوم الدنيوية أن الناس يحثون الطلاب الأذكياء أن يتوجهوا لهذه التخصصات الدنيوية دون الدينية، وتأثر بهذا بعض المتدينين فصاروا يدعون الأذكياء وأصحاب الهمم العالية لذلك، وبعضهم قد يكون له مرادٌ حزبيٌ وهو أن يسيطر على جميع الجهات الدنيوية والدينية حتى يصلوا إلى المجتمع فيبثوا حزبياتهم بغطاء خدمة الإسلام ونشر الدين إلى غير ذلك.

وأؤكد أن العلم الذي امتدحه الله بقوله: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١١] وامتدحه النبي ﷺ في سنته كما أخرج

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٨٥).

(٢) «حاشية ثلاثة الأصول» (ص١٤ و٧٩).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٤٤-٤٤٥).

"الشيخان"[١] عن معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ قال: «**من يرد الله به خير يفقه في الدين**» هو العلم الشرعي علم الوحي، الذي قال الله فيه: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَن لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٠].

واعلموا أن مَن فتح عليه في هذا العلم فوالله لو كان أفقر الناس فإنه من أحسن الناس حالًا؛ لأن قلبه قد امتلأ بتقوى الله وبدينه وبمعرفة الوحي أما الدنيا فهي سريعة الزوال والانقضاء.

فأقبلوا على الله وعلى تعلم دينه مع إحسان الظن بالله، ومن قدر له شيء من الدنيا -والله- ليأخذنه، ومن لم يقدر له شيء من الدنيا فلن يأخذه ولو فعل ما فعل.

ولنحث الناس أن يشجعوا أولادهم وشباب المسلمين على التسابق في طلب العلم الشرعي حتى نفوز برضا الله تعالى.

وليس المراد تحريم العلوم الدنيوية بل هي خير لكن لا مقارنة بين أجر العلم الشرعي وأجر غيره، ويزيد الأمر أهمية أن حاجة المسلمين للعلم الشرعي أكثر وأكثر بل لما اشتغل المسلمون بالعلوم الدنيوية مع جهل بالعلوم الشرعية دخلت عليهم عن طريق هذه العلوم ضلالات، قال ابن تيمية: **"وعاش السلف فيها برهة طويلة ثم خفي بعض نور النبوة؛ فعرب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية. ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعربت ودرسها الناس وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر وكان أكثر ما ظهر من علومهم الرياضية كالحساب والهيئة أو الطبيعة كالطب أو المنطقية"**[٢].

---

(١) البخاري (١/ ٢٥) رقم: (٧١)، ومسلم (٣/ ٩٥) رقم: (١٠٠ - (١٠٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٨٤)

ومن أشهر الأطباء الذين أضروا بالإسلام ابن سينا حتى قال ابن صلاح في ذَمِّه: **"ولم يكن من العلماء بل كان شيطانًا من شياطين الإنس وكان حيران في كثير من أمره"**[١]

وقال ابن القيم عن ابن سينا:**"إمام الملحدين ابن سينا -ثم قال- وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر "**[٢].

فأمثال هؤلاء أدخلوا على الإسلام بدعًا وزندقةً وإلحادًا باسم الإسلام ولأنهم أطباء راج أمرهم بين الناس، فرحم الله امرءًا عرف قدر نفسه، ولم يتكلم في غير فنِّه، فمن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، ولو أن الطبيب لزم تخصصه لكان خيرًا له وللناس وإنما يخطئ بعضهم ويظن أن مكانته عند الناس تسوغ له أن يتكلم في أحكام الشريعة بغير علمٍ ولا وحيٍ.

فإنَّ العلم ميراث يتناقله العلماء، لا معلومات ونتفات من علم يحصلها قارئ من كتاب أو كتابين ثم يخوض في مسائل، ويناقش الجهال فيفتن ويرى نفسه فائقًا، فيصاب بعجبٍ وغرور فيفسد الشريعة بلباس العلم والهدى والحماسة للدين وغير ذلك.

ومراد المصنف بقوله: (العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)، العلم الشرعي الذي هو الوحي وليس ما عداه،

وقوله: بالأدلة، يفيد أن ما لم يكن مبنيًا على دليل فليس علمًا، وقد أجمع العلماء أن المقلد ليس عالمًا

---

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢٠٩)

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٣٢).

قال ابن عبد البر: **" وقال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين وإدراك المعلوم على ما هو فيه، فمن بان له الشيء فقد علمه، قالوا: والمقلد لا علم له ولم يختلفوا في ذلك"**[(١)].

وقال ابن القيم نقلًا عن ابن عبد البر على وجه الإقرار: **" قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء "**[(٢)].

وقال: **" لأنه ليس بعلم، والفتوى بغير علم حرام، ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم، وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم "**[(٣)].

والناس على مرتبتين فمن ليس مجتهدًا فمقلد قاله ابن عبد البر في كتابه **" جامع بيان العلم وفضله "** [(٤)] نقلًا عن أهل العلم والنظر فالمرتبة الأولى المجتهد، والمرتبة الثانية المقلد، والمجتهد هو الذي ينظر في الأدلة وعنده آلة اجتهاد، فيميز بين الدليل الراجح والمرجوح بآلة العلم، وأهم علوم الآلة للمجتهد علم أصول الفقه، فقد يكون المجتهد مقلدًا في الحديث لكن لا يصح من المجتهد أن يكون مقلدًا في علم أصول الفقه، لأنه

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩٣) رقم: «١٨٩٤».

(٢) أعلام الموقعين (١/ ١١).

(٣) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٩٥).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٩٣).

الأساس لكل مجتهد. ذكر هذا أبو المظفر السمعاني في القواطع[١] والرازي في المحصول[٢] والشوكاني[٣] في كتابه " **إرشاد الفحول**".

والمراد بعلم أصول الفقه أصول الفقه العملي لا النظري، وليس منه ما أدخله المتكلمون في علم أصول الفقه.

فأعلى مرتبة مرتبة الاجتهاد، -وهي مرتبة النظر في الأدلة الشرعية والترجيح بينها-

.

وتليها مرتبة التقليد، -وهي عدم الاجتهاد- إن معرفة قول الشيخ دون اجتهاد وبحث لمعرفة الراجح بالدليل تقليد كقول القائل: قال الشيخ ابن باز: هذا حرام، أو قال الشيخ ابن عثيمين: هذا واجب، أو قال الألباني: هذا مكروه.

ولو حفظ إنسان متن" **زاد المستقنع** " عن ظهر قلب، وفي كل مسألة يقول ما في " **الزاد** "، فهذا مقلد وليس عالمًا بل لا يزال جاهلًا؛ لأنه لا يكون عالمًا حتى يعرف الحكم بدليله عن طريق الاجتهاد.

تنبيهان:

التنبيه الأول: فرقٌ بين تقليد " **زاد المستقنع** " وتقليد الإمام أحمد أو ابن تيمية أو ابن باز أو الألباني أو ابن عثيمين؛ وذلك أن أصحاب المتون يكتبون على الراجح في المذهب لا ما ترجح عندهم بالدليل فهم يكتبون لتبيين الراجح في المذهب حتى يعلم المذهب فيتعلم.

---

(١) قواطع الأدلة في الأصول (١/ ١٨).

(٢) المحصول للرازي (٦/ ٢٥).

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٢٠٩).

فما يرجحونه ويتعبدونه به شيءٌ وتأليفهم على المذهب شيءٌ آخر، أما الشيخ ابن باز ومَن سبق ذكرهم فإنهم إذا تكلموا في مسألة يتكلمون فيما يظنونه راجحًا من مسائل العلم ومرادًا الله، لذا يصح تقليد هؤلاء العلماء، ولا يصح تقليد هذه المتون الفقهية.

التنبيه الثاني: ظاهر قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العلم: معرفة دين الإسلام بالأدلة، أنه لا يجوز التقليد في الاعتقاد، وهذا قول الأشاعرة[١] وهو أحد الأقوال عند المعتزلة[٢] -وهم مختلفون في عدم الجواز أو عدم الصحة-.

والمصنف سلفي فلا يحمل كلامه على مراد المتكلمين، وإنما الدليل عند العامي اتباعه للعالم الذي يثق فيه، وما كان كذلك فهو دليل في حقه، لأن قول العالم دليل عند العامي.

فالعالم يعرف دين الإسلام بالأدلة الشرعية المعروفة، كالكتاب والسنة والإجماع والقياس وقول الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب، إلى آخره.

والعامي يعرف دين الإسلام باتباع العالم الذي يثق به، وقد حاول بعضهم أن يستدل على ما ذكره المتكلمون بما أخرج البخاري[٣] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه إذا سئل الإنسان في قبره من ربك؟ إلى آخره.

فيقول المنافق والكافر: ها ها لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمرزبةٍ من حديد. فيزعم أن هؤلاء عذبوا للتقليد في العقائد، وهذا الزعم خطأ فإن هؤلاء حُرموا الجواب لكفرهم، ويوضح ذلك أمور ثلاثة:

---

(١) «المحصول للرازي» (٦/ ٩٣).

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٢٧٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٢/ ٩٨) رقم: (١٣٧٤).

الأمر الأول: أن الكافر لو حفظ الأدلة فلن تنفعه، ولن يجيب في قبره؛ لأن الجواب في القبر للمسلم دون الكافر.

والجواب الثاني: لازم هذا أن مَن بنى اعتقاده على التقليد يكفر؛ لأن الحديث جعل القسمة ثنائيةً إما مسلمٌ يجيب أو كافرٌ لا يجيب، وهذا خلاف عبارة الإمام المجدد فإنه قال بالوجوب، ولم يجعله شرطًا في الإيمان، فلا دلالة في حديث أنس على مراد المصنف المزعوم؛ لأن ظاهر الدليل أنه يجعله شرطًا في الإيمان، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعله واجبًا لا شرطًا، والذي يستقيم مع الوجوب -ما تقدم ذكره- أنه إن كان عالمًا فباتباع الدليل، وإن كان مقلدًا فقول العالم دليل له.

الجواب الثالث: أن الإمام المجدد المصلح من أشهر أئمة العصر في نصرة السنة والسلفية والقيام بدين الله، فكيف يُنسب له قول الأشاعرة الضُّلَّال المبتدعة أو من هو أسوأ بقول محتمل.

ثم ذكر شيخ الإسلام العمل، ووجوب العمل واستحبابه فيه تفصيل، فلمَّا قال الشيخ: يجب، دل على أنه يريد الأعمال الواجبة؛ لأن الأعمال نوعان، مستحبٌّة وواجبة، والأعمال الواجبة قسمان:

القسم الأول: يجب على جميع الناس.

القسم الثاني: يجب باختلاف حال الناس.

فمن كان لديه مالٌ فيجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة، ومن كان يبيع ويشتري يجب عليه أن يتعلم أحكام البيع والشراء بخلاف من ليس كذلك.

فعبارة الشيخ لابد أن تنصرف إلى الوجوب العيني أو الوجوب الذي يختلف حاله باختلاف الناس، والوجوب الذي يختلف حاله باختلاف الناس يتفرع عنه فرض الكفاية؛

لأن فرض الكفاية يجب على كل من يستطيع أن يقوم به، وليس على كل أحدٍ من أمة محمد ﷺ.

ثم ذكر المصنف الدعوة، **ومن** الدعوة ما هو واجب كإنكار منكر علمه ويستطيع إنكاره، ومن الدعوة ما هو مستحبٌ كالتذكير بفضل الذكر ونحوه.

ولشيخنا الإمام عبد العزيز بن باز[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ عظيم وهو أنه: **"عند قلة الدعاة، وكثرة المنكرات، وغلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته"**. والناس في حاجة إلى أن يعلموا أصول دينهم فما أكثر الجهلة حتى مع تدريس الدين بالمدارس النظامية فإن الجهل شديدٌ جدًا لأمرين:

الأول: أن بعض الناس يدرس العلوم الشرعية على أنها شيء نظامي ملزومٌ به فلا تُقبل النفس عليه، وإن كان هذا أحسن ممن لا يدرس.

الثاني: انشغال الناس بأمور الدنيا.

لذا لابد أن نجتهد في تبليغ الناس دين الله، بكل ما نستطيع في مجالسنا وبيوتنا ونشغلهم بالعلم قدر الاستطاع بكل أسلوب ممكن.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصبر لأن تبليغ دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرًا ما يكون مصحوبًا بمشاق، لما فيه فيه من مخالفة ملذات الناس وأهوائهم؛ ولأن الناس أحيانًا يظنون أن الناصح يريد علوًّا عليهم، وهم لا يريدون أحدًا أن يرتفع عليهم فيعارضون الناصح ويحاولون أن يجهلوه وينتقصوه فالناصح مأمور أن يحسن نيته ما بين حينٍ وآخر، وأن يجاهد نفسه في ذلك، وأن يصبر على بلاغ الدين؛ لذا قال الله تعالى في وصية لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٣٣٢).

قال شيخ الإسلام: "**ولا بد أيضا أن يكون حليما صبورا على الأذى: فإنه لا بد أن يحصل له أذى؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح: كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [لقمان: ١٧] **ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر، كقوله لخاتم الرسل...**"[(١)].

ولا يصبر المؤمن إلا على ما يرجو من الله ﷻ ثوابه، وهذا الذي يؤنس المؤمن، فلا يصح أن يسخط، ولا أن يغضب لنفسه، وإنما يغضب لعدم قبول الناس الحق، ومع ذلك لا يبالغ في ذلك، كما قال ﷻ: ﴿**فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾، بل يبلِّغ ويحمد الله أنه أدى الواجب، والله يقول: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾، وبعضهم يبالغ جدًّا في هداية المدعوين حتى يقع في وسائل بدعية لأجل هدايتهم أو يتحسر ويتنكد بما يعود عليه بالضعف، وهذا خطأ عظيم، والمطلوب الاجتهاد في الدعوة مع انشراح صدرٍ، وسعيٍ لهداية الناس، فإن هداهم الله، فالحمد لله، وإن لم يهدهم فإن من الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، ففي الصحيحين[(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد**»، هؤلاء أنبياء نزل عليهم الوحي، فكيف بغيرهم؟

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سورة العصر دليلًا على المراتب الأربع، وتقدم بيان وجه الدلالة من هذه السورة، ثم قال: (**قال الإمام الشافعي: لو ما أنزل الله حجة على عباده إلا هذه السورة لكفتهم**) وهذه العبارة ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه " **مفتاح دار السعادة**

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: ١٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٧/ ١٣٤) رقم: (٥٧٥٢)، «صحيح مسلم» (١/ ١٣٧) رقم: ٣٧٤ - (٢٢٠).

"[١] وفي غيره[٢]، وابن كثير في تفسيره[٣]، بعبارة أدق من العبارة التي نقلها الإمام المجدد، ونصها: " **لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم**" وفي نقل ابن القيم: **لو تفكر الناس**...

هذه أبلغ من القول لكفتهم؛ لأن من كان يعلم أنه مطالب بالعلم والعمل وليس عنده العلم بمسائل الدين فهو لا يمكنه العمل ولا العلم الذي ينجو به.

لكن لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، ولجعلتهم في اجتهادٍ في تحصيل العلم، وفي العمل به.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول البخاري[٤]: (**باب العلم قبل القول والعمل**) إن الدعوة بلا علم، ضلالٌ ولو اهتدى المهتدون، وإن أهل السنة لا يقيسون صلاح الدعوات وفسادها بنتائجها، وإنما بالنظر إلى موافقة دعوتهم للدليل بفهم السلف.

فالكيف مقدمٌ على الكم، فإذا كان الكيف شرعيًا فحصل كم كثير، فهذا نورٌ على نور، بخلاف الدعوات الحركية، فإنها اجتهدت على الكم وغفلت عن الكيف، لذا عندهم وسائل الدعوة غير توقيفية مطلقًا ويجوز أن يحدث فيه وسائل بشرط ألا يقع فيما هو منصوصٌ على حرمته، بل بعضهم جوز المنصوص على حرمته بدافع مصلحة الدعوة، وهذا من الخطأ العظيم.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٢).

(٢) عدة الصابرين (ص١٣٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٣) و(٨/ ٤٧٩).

(٤) «صحيح البخاري» (١/ ٢٤).

تنبيه: وسائل الدعوة منها توقيفية وغير توقيفية -اجتهادية-. ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[١] كلامًا عظيمًا عند كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الوسائل، وبيّن العلامة الألباني[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه شامل لوسائل الدعوة، لأن كلام ابن تيمية على الوسائل عمومًا.

وملخص ما ذكر أنه ينظر إلى المقتضي لفعل الوسيلة، - الدافع لفعلها- في عهد النبي ﷺ وأصحابه وإلى المانع من فعلها، فإن توفر المقتضي ولا مانع ومع ذلك لم يفعلوا فهذه الوسيلة وسيلةٌ بدعية؛ لأنها لو كانت خيرًا لسبقونا إليها، لكن إن لم يتوفر المقتضي في زمنهم أو توفر لكن هناك مانعٌ يمنع من هذه الوسيلة، فإن فعلها ليس بدعة، ومما بين ابن تيمية أن معاصي العباد وبعدهم عن الدين ليس مسوغًا لإحداث الوسائل بل العباد مأمورون أن يرجعوا إلى الله. وإليك أمثلة على ذلك:

المثال الأول: الإنشاد[٣] الذي يسمى إسلاميًا، إن أهلها ينشدون حتى يرغبوا الناس في الخير والهدى والاستقامة، وهذه بدعة لوجود المقتضى وانتفاء المانع لا سيما بعد اتساع فتوحات الإسلام ودخل فيه من هو ضعيف الإيمان ممن يحتاج إلى هذه الوسائل ومع ذلك لم يفعلوه مع استطاعتهم.

فإن قيل: قد أنشد الصحابة لمَّا قالوا: نحن الذين بايعوا محمدًا... ففي الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: كان النبي ﷺ في مسير له، فحدا الحادي، فقال النبي ﷺ: «**ارفق يا أنجشة، ويحك بالقوارير**»[٤].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٠٠).

(٢) هذا رابط كلام الشيخ الألباني **الشيخ الألباني هل أساليب الدعوة توقيفية أم اجتهادية وما ضابطها:**
https://youtu.be/FLgxKpSZS1U?si=AHDijPqCaZVzh5AU

(٣) الإنشاد: رفع الصوت لا تطريبه كما شاع استعماله في عرف الناس اليوم. كما في «تهذيب اللغة» (١١/ ٢٢٢).

(٤) «صحيح البخاري» (٨/ ٤٧) رقم: (٦٢٠٩)، «صحيح مسلم» (٧/ ٧٨) رقم: (٢٣٢٣).

وفي الصحيحين[١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الإسلام ما بقينا أبدًا

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:

«اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره... فبارك في الأنصار والمهاجره»

إن هؤلاء أنشدوا على وجه الإباحة لا على وجه التعبد وهداية الناس.

والإنشاد على وجه المباح لا إشكال فيه، لكن الإنشاد لأجل هداية الناس عبادة لا دليل عليها فتكون بدعة، ومما يؤكد أنهم يفعلونه تعبدًا أنهم يقولون في نهاية هذ الإنشاد نسأل الله أن يتقبل أعمالنا ... وهكذا، ويسمونها إسلامية.

فالإنشاد على وجه الدعوة وبدافع هداية الناس ونيل الأجر هو نوع من البدع كما تقدم.

المثال الثاني: التمثيل المسمى بالإسلامي. إن التمثيل أشد حرمةً لأن فيه كذبًا، فيقول: أنا محمد وهو ليس محمدًا، ويقول: أنا طبيب وهو ليس طبيبًا، ويقول: أنا مريض وهو ليس مريضًا وهكذا، ولا يكاد يخلو التمثيل من كذب إلا شيئًا نادرًا، والنادر لا حكم له، وإنما العبرة بالغالب، ومع ذلك إن لم يكن فيه كذبٌ فاتخاذه وسيلة من وسائل الدعوة بدعةً، لما تقدم ذكره من قاعدة المقتضي والمانع.

والذين يمثلون يحتجون بما لا يصح الاحتجاج به منها: أنهم يحتجون بما في الصحيحين[٢] عن أبي هريرة مرفوعًا: أنه جاء الملك بصورة الأقرع وجاء بصورة الأبرص والأعمى إلى آخر القصة المعروفة.. وهذا لا يصح الاستدلال به لأمور:

---

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ٢٥) رقم: (٢٨٣٤)، و«صحيح مسلم» (٥/ ١٨٨) رقم: (١٨٠٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ١٧١) رقم: «٣٤٦٤»، و«صحيح مسلم» (٨/ ٢١٣) رقم: (٢٩٦٤).

الأول: أن تغير شكل الملك حقيقي فلهم ما ليس لنا.

الثاني: أن التكاليف الشرعية في حق الملائكة ليست كالتكاليف الشرعية في حقنا، فكيف نقيس تكاليفنا على تكاليفهم؟!

الثالث: لا يصح قياس عالم الشهادة على عالم الغيب فإن عالم الملائكة عالم غيبٍ مغاير لعالمنا.

الرابع: أنه لو قيل -تنزلًا- بصحة هذا القياس فإنه معارض للسنة التركية فإنه لم يفعله رسول الله ﷺ ولا صاحبته ولا غيرهم من السلف، والسنة التركية كالنص تقدم على القياس والعموم -كما سيأتي-.

تنبيه: أول من أحدث التمثيل الإسلامي -فيما أعلم- جماعة الإخوان المسلمين، فقد أخذوه عمن قبلهم من الكفار، فأظهروه بلباس الدين ونحن مبتلون في هذا الزمن بترويج كثير من الأمور باسم الإسلام ... وهذه عبارات حسنة تقبلها القلوب فأخرجت بأسماءٍ حسنة حتى تقبل عليها القلوب وتظنها شرعيًّا ودينيًّا.

المثال الثالث: وضع جوائز على حضور بعض الدروس والمحاضرات، وعلى حفظ القرآن ومنه جعل الأب لأبنائه جوائز على حفظ القرآن فالمقتضي له موجود عند السلف وهو الرغبة في تحفيظ أبنائه والمانع منتفٍ، فيستطيع الأب في ذلك الزمن أن يعطي ابنه شيئًا مقابل حفظ القرآن ومع ذلك لم يفعلوا فنحن مأمورون بإتباعهم فعلًا وتركًا.

فإن قيل: روى الشيخان[1] عن أبي قتادة عن قال النبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلًا فله سلبه**»

فجوابه أن غاية هذا الاستدلال قياس ما جاء في حديث أبي قتادة على بقية وسائل الدعوة، والقاعدة الشرعية المهمة التي ذكرها شيخ الإسلام في " **اقتضاء الصراط**

---

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ٩٢) رقم: (٣١٤٢)، «صحيح مسلم» (٥/ ١٤٧) رقم: ٤١ - (١٧٥١).

المستقيم "[١] أن القياس إذا عارض الترك التعبدي من النبي ﷺ فيصير قياسًا فاسدًا، فالقياس إذا عارض السنة التركية صار قياسًا فاسدًا، وقد سمعت الإمام الألباني[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مسجلاته يذكر أن وضع الجوائز على أمثال هذه الأمور أنها من البدع وليست شرعيةً؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه لم يفعلوا ذلك.

فائدتان:

الفائدة الأولى: إن تسجيل الدرس ليس بدعة وإن كان النبي ﷺ والسلف لم يفعلوه؛ لأن ضابط البدعة لا ينطبق عليه لوجود مانع من فعل هذه الوسيلة وهي عدم اختراعها في زمنهم، ومثله إلقاء المحاضرات عبر مكبرات الصوت وأجهزة التسجيل.

الفائدة الثانية: أخطأ بعض الشافعية لما قالوا باستحباب صلاة ركعتين بعد السعي قياسًا على الطواف بجامع أن كليهما يسمى طوافًا.

وهذا القياس مصادم للسنة التركية فهو قياس فاسد، فيكون بدعة، والسنة التركية تقيد اللفظ المطلق، فقوله تعالى الله ﷻ: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥] مطلق يدخل فيه الدعاء جماعيًّا بعد صلاة الجماعة، لكن بدلالة السنة التركية لا يدخل الدعاء الجماعي.

وبعد هذا فإن الدعوة لا تكون إلا على ما يريده الله وهو العلم، لذا قال: (**العلم قبل القول والعمل**)، فلا عمل إلا بعلم، ولا دعوة إلا بعلم، ومن عمل بلا علمٍ فإنه يضر نفسه لأنه سيقع فيما يغضب الله، ثم عقلًا لا يمكن لمن لا يعرف العلم (الوحي) أن يعمل، فكيف يعمل بما لا يعرفه؟

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٠٣).

(٢) هذا رابط **ما حكم المسابقات العلمية التي يعطون فيها جوائز الالباني**

https://youtu.be/k_fvnYGcJ_s?si=Sx0KjGVmKT381cld

فلا يصح العمل إلا بعلم، وهذا من أعظم ضلالات جماعة التبليغ وهو مما جعلها مبتدعةً ضالةً فإنهم يحاربون العلم والعلماء ويريدون أن يدعوا الناس بأهوائهم فهم في الواقع يعبدون أهواءهم لا يعبدون الله بما يريده؛ لأنهم لو عبدوا الله بما يريده الله لعبدوه بالعلم وبالوحي.

واستدل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد: ١٩] وذلك أنه في الآية بدأ بالعلم قبل القول والعمل، وبهذا ينتهي شرح المسائل الأربع.

(المتن)

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل والعمل بهن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولًا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار. والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب والدليل قوله تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(الشرح)

هذه المسائل الثلاث والتي قبلها مقدمة للثلاثة الأصول، وقد لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضعٍ من **"الدرر السنية"**[(١)] وذكر أن المسألة الأولى راجعة لتوحيد الربوبية، والمسألة الثانية راجعة إلى توحيد الإلهية، والمسألة الثالثة راجعة إلى الحب والبغض في توحيد الله، وهو الولاء والبراء في توحيد الله.

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٨٠).

الأولى: تكلم فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ على توحيد الربوبية، وأن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا، وسبق في القواعد الأربع أن تعريف التوحيد عمومًا إفراد الله بما يختص به، وتعريف توحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله سبحانه، وموقف كفار قريش من توحيد الربوبية أنهم مقرون به.

الثانية: توحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، والعبادة خاصةٌ بالله، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ**﴾ [آل عمران: ٦٤]، وموقف كفار قريش أنهم مشركون فيه.

ولما ذكر الإمام المجدد المصلح في المسألة الأولى الإقرار بتوحيد الربوبية الذي يلزم منه الإقرار بتوحيد الإلهية انتقل إلى المسألة الثانية وهو توحيد الإلهية الذي هو لازم توحيد الربوبية، وهو متضمن له.

الثالثة: ذكر بعد ذلك أنه لا يكفي أن يكون الموحد موحدًا بل يجب أن يحب ويبغض في التوحيد، فمن أطاع الرسول بأن أتى بتوحيد الربوبية إلى آخره، ووحد الله بأن أتى بتوحيد الإلهية لا يجوز له مولاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب قريب، إلى آخر الكلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا نحتاج إليه في زمننا غاية الحاجة وهو أنه لا يكفي أن يعتقد المسلم السنة، والطريقة السلفية وما كان عليه السلف الصالح، بل لابد من الحب والبغض في ذلك، وبدعة عصرنا ترجع إلى أمرين:

الأمر الأول: التحزب وترك الحب والبغض في السنة.

الأمر الثاني: إضعاف أصل الإمامة وما يتعلق بالسمع والطاعة.

أخرج الآجري[١] أنه قيل: لأبي بكر بن عياش:" من السني؟ قال: السني الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها"، فلا يتعصب إلا إلى السنة، وما عليه السلف الصالح، فكل مَن يتعصب إلى غير السنة فليس سنيًا حتى لو اعتقد اعتقادًا صحيحًا، وتمسك بالسنة، فمن تعصب إلى أي حزبٍ فليس سنيًا، ويجب في المقابل أن يتعصب إلى السنة، لذا فإن قاعدة الإخوان المسلمين التي شاعت وانتشرت والتي تبناها حسن البنا: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. هي بدعة عصرنا.

وهذا كاف في تبديع الإخوان المسلمين؛ لأنها مخالفةٌ لأهل السنة في أمرٍ كلي، وذلك أن الولاء والبراء على الحزب مخالفةٌ لأهل السنة في أمر كلي.

وهذه بدعة العصر وهي التحزب على غير السنة وغير ما عليه سلف هذه الأمة، لذلك اختبروا الناس بهذا، فقد يقر الرجل بأن الله في السماء، ويقر بأنواع التوحيد الثلاثة، وبأصل السمع والطاعة وغير ذلك مما يذكر في كتب الاعتقاد كـ" **الواسطية** "، لكنه لا يوالي ويعادي على السنة، فمن لم يوالِ ويعاد على السنة فقد ابتدع، وقد بدع السلف مَن جالس المبتدع وجعلهم بطانةً له، كما قال الأوزاعي[٢] وعبد الله بن المبارك: من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته، وثبت عن عبد الله بن مسعود[٣] أنه قال: المرء بخدنه.

وقيل للإمام أحمد كما في طبقات أبي يعلى[٤]: " **أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه قال: لا أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه به**"، وقد عقد الإمام ابن بطة فصلًا كاملًا في هذا، وأطال

---

(١) «الشريعة للآجري» (٥/ ٢٥٥٠) رقم: «٢٠٥٨».

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٥٤) رقم: (٢٥٧).

(٣) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٤٢٩).

(٤) المصدر السابق.

النقولات في بيان هذا الأمر، ومما ذكره ابن بطة في كتابه " **الإبانة الكبرى** "[١]: "**لما قدم سفيان الثوري البصرة: جعل ينظر إلى أمر الربيع بن صبيح، وقدره عند الناس، سأل: أي شيء مذهبه؟ قالوا: ما مذهبه إلا السنة قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر قال: هو قدري**".

وهذه العلامة لا يستطيع الفكاك عنها أهل البدع، فقد أخرج ابن بطة في الإبانة الكبرى[٢] عن محمد بن عبيد الله غلاب أنه قال: وقد قيل يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة.

فصاحب السنة يتكلم بالسنة وينطلق منها وكلام سلف هذه الأمة.

وقد استدل الشيخ الإمام المجدد على المسألة الثالثة بقوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

والمُحادَّة قسمان:

محادةٌ كلية وهي للكفار.

ومحادةٌ جزئية وهي لأهل البدع ومن دونهم من أهل المعاصي.

فالكفار والمبتدعة يجب أن تقام معهم عقيدة الولاء والبراء.

وأن الكفار وأهل البدع يهجرون ويعادون ويبغضون لأنهم كفار ومبتدعة ولا يترك هذا الأصل إلا لمصلحةٍ راجحة.

والدليل على هجر أهل البدع ما أخرج الشيخان[٣] عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

---

(١) «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٢/ ٤٥٢) رقم: (٤٢١).

(٢) «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٢/ ٤٧٩) رقم: (٥١٠).

(٣) «صحيح البخاري» (٦/ ٣٣) رقم: (٤٥٤٧)، «صحيح مسلم» (٨/ ٥٦) رقم: (٢٦٦٥).

وهذا أصل قد يلتبس على بعضهم فيظن أن الأصل ألا يهجر أهل البدع، إلا إذا اقتضت المصلحة، وهذا خطأ مخالف لفعل سلف هذه الأمة وتقريراتهم في كتب الاعتقاد كأصول السنة للإمام أحمد[١] ووعقيدة الرازيين[٢] والإبانة الكبرى[٣] والصغرى[٤] وعقيدة أبي عثمان الصابوني[٥].

وقد أخطأ في هجران أهل البدع طائفتان:

الطائفة الأولى: قررت أن الأصل ألا يهجر أهل البدع إلا لمصلحةٍ راجحة.

الطائفة الثانية: قررت أن الأصل الهجر ولا ينتقل عنه ولو لمصلحةٍ راجحةٍ وهذا خطأ، بل دين الله كله قائمٌ على جلب المصالح وتكميلها ودرأ المفاسد وتقليلها.

والأصل في هجران البدعة ما أخرج مسلم[٦] عن حديث جابر قال كان النبي ﷺ كل جمعةٍ على المنبر يقول: "أما بعد؛ فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعةٍ ضلالة" فهذا تحذير من البدعة.

أما التحذير من المبتدعة فهو ما تقدم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»[٧]، فالأول نهيٌ عن البدعة والثاني نهيٌ عن صاحب البدعة.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٥٢).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٠١).

(٣) «الإبانة الكبرى - ابن بطة» (٢/ ٤٢٩).

(٤) الإبانة الصغرى (ص ٣٠٩).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٢٩٨ و٣٠٧ و٣١٥).

(٦) «صحيح مسلم» (٣/ ١١) رقم: (٨٦٧).

(٧) تقدم توثيقه.

والكافر يجب علينا دينًا أن نبغضه لأجل الدين ليس لأجل الدنيا، والدليل آية المجادلة وهي ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ولا يعارض ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ التي في عم النبي ﷺ كما في "**الصحيحين**"[(١)] من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه.

ولا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

فقد أباح الله لنا نكاح الكتابيات الكافرات ولابد أن تحصل محبةٌ ومودةٌ بين الرجل المسلم والزوجةالكافرة الكتابية.

وطريقة الجمع بين الآيات أن هناك فرقًا بين الحب الديني والحب الطبعي، فيبغض الأب الكافر والزوجة الكافرة لأنه كفار، لكن يحبون محبةً طبعية لأنه أب، ومثل ذلك الزوجة الكافرة، فإن قيل: كيف يجمع بين المتناقضات؟ فيقال: كلا، ليس الأمران متناقضين، بل يحب من جهة ويبغض من جهة، وذلك كالدواء الكريه، يبغض من جهة كونه كريهًا ويحب من جهة كونه دواءً نافعًا، فالحب من جهةٍ والبغض من جهة، كما ذكره ابن تيمية في غير هذه المناسبة[(٢)]

ومن أراد أن يستدل بما تقدم ذكره على إسقاط عقيدة الولاء والبراء فهو مبطل ومتبع للمتشابه من القرآن، بل كتاب الله يفسر بعضه بعضًا ودين الله يفسر بعضه بعضًا.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٥٢) رقم: (٣٨٨٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٤٠) رقم: (٢٤).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ١٨٢ و٢٠٩)، «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٧٨) (١٠/ ٢٠٣) (٢٤/ ٢٧٩).

(المتن)

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦] ومعنى يعبدون يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه

والدليل قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: من الآية٣٦].

(الشرح)

قال المصنف: (اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم) ...إلخ، تقدم في القواعد الأربع، أن معنى الحنيف لغةً مأخوذٌ من الإقبال[١] ولازم ذلك الميل[٢]، وأما شرعًا فهو الإقبال على التوحيد مع الميل عن الشرك قصدًا، وهذه الحنيفية هي ملة إبراهيم وهي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين[٣].

قال المصنف: (وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها).

أمر الناس بالتوحيد وخلقهم لأجل التوحيد.

أما خلقه سبحانه الناس لأجل التوحيد فالدليل قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، أما أمره سبحانه فالدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وهذا أمرٌ بالتوحيد.

وقوله: (ومعنى يعبدون يوحدون) هذا التعريف من الإمام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من باب ذكر الشيء ببعض أفراده، وهذا مشهور عند السلف أنهم يفسرون الشيء بذكر بعض

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣١٩)، و«جلاء الأفهام» (ص٣٠٥) ومفتاح دار السعادة (١/ ٤٩٩).

(٢) «تهذيب اللغة» (٥/ ٧٢)، و«أمالي الزجاجي» (ص٢)، و«شرح النووي على مسلم» (٦/ ٥٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣١٩).

أفراده، كما بين هذا الإمام ابن تيمية في " **مقدمة أصول التفسير**" [١] وابن القيم في "**الصواعق المرسلة** "[٢] فتفسير السلف كثيرًا ما يكون بالتمثيل.

قال ابن تيمية:" **فالسلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر، كمن يقول: أحمد هو الحاشر والماحي والعاقب، والقدوس هو الغفور، والرحيم، أي أن المسمى واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه الصفة. ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس**"[٣].

عرَّف الإمام المجدد العبادة بمعنى التوحيد لأنها الفرد الأهم، ولأجله صنف هذه الرسالة؛ وهو المعركة بين الأنبياء وخصومهم، وقد عرف ابن عباس العبادة بالتوحيد[٤]، وهو من ذكر فرد من أفراده لكن هذا هو الفرد الأهم.

ومعنى العبادة الأشمل ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح " **رسالة العبودية** " [٥] أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

ومعنى هذا: أن كل شيء يحبه الله سواءٌ كان قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا فإنه عبادة، لذلك أمر الله به، وهذا معنى تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، فكل ما يحب الله أن يفعل ففعله عبادة، وكل ما يحب الله أن يترك فتركه عبادة، وقبل أن أبتدئ بالأصل الأول وهو معرفة العبد ربه، وقد جاء عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه فسر ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا لآمرهم وأنهاهم

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص١٤).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٩٩).

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص١٣).

(٤) ذكره ابن عباس عند قوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم}. «تفسير الطبري» (١/ ٣٨٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٦٠).

(٥) «العبودية» (ص٤٤).

[١]، وهو قول مجاهد [٢] وصححه ابن تيمية [٣]، واختاره الزجاج [٤] وشيخ الإسلام ابن تيمية [٥]، ومعنى إلا لآمرهم وأنهاهم أي إلا لآمرهم بكل ما أمرتهم به من دين الله، وأنهاهم عن كل محظور نهيتهم عنه، وهذا هو مرجع العبادة كما تقدم، أنها ما بين أن تكون فعلًا فيكون مستحبًا أو واجبًا، أو تركًا فتكون مكروهةً أو محرمة.

قد كان خلاف المصنف مع خصومه في العبادة وذلك أنهم يقولون: إن الذبح والنذر لغير الله إلى آخره ليس صرف عبادة لغير الله، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله.

وفعل المباح ليس عبادةً با لإجماع بل إن التعبد بالمباح بدعة، كما بين هذا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٦]، وإنما يتعبد بالمباح إذا استعين به على طاعة الله.

قال ابن تيمية: **" كل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وإن كان من جنس المباح. قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لسعد: ﴿إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك﴾ "** [٧] وذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **" في أعلام الموقعين "** [٨].

---

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٧٣)، «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٧٧)، و«مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢).

(٢) «تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (٣/ ٣٤٨)، «تفسير الماوردي» (٥/ ٣٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٥/ ٥٨)، وعزاه له ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٧٨)، و«مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٧٧).

(٦) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٥٠- ٤٥٢)، (٢٧/ ٣٣٥).

(٧) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١).

(٨) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/ ٥١٣).

روى البخاري ومسلم[١] عن معاذ أنه قال: إني لأحتسب على الله نومتي كما أحتسب عليه قومتي. فالنوم مباح، لكن تعبد بهذا المباح ليستعان به على طاعة الله ﷻ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة)**.

عرَّف المصنف التوحيد بفردٍ من أفراده، وهو ما ألف الرسالة من أجله، وهو إفراد الله بالعبادة، وإلا التوحيد أشمل من ذلك وتقدم أنه إفراد الله بما يختص به.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه)**.

هذا أيضًا تعريفٌ للشرك بذكر فردٍ من أفراده، وإلا فالشرك أشمل من ذلك وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله.

قال المصنف: **(والدليل قوله تعالى، يعني: الدليل على أن أعظم شيء هو التوحيد من العبادات وأعظم المحرمات هو الشرك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾)**.

وجه الدلالة أنه ابتدأ بهذا الأمر ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ**﴾، وأيضًا ابتدأ بهذا النهي ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون**﴾ ثم ذكر ما بعده، فلما ابتدأ بالأمر بالعبادة دل على أن أعظم الأوامر هو التوحيد ولمّا جعل أول النهي نهيًا عن الشرك وجعله أول المنهيات دل على أن أعظم المنهيات الشرك كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾، وهذا أيضًا ابتدأ بالأمر بالتوحيد فدل على أنه أعظم الأوامر.

وأيضًا قوله: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [الأنعام: ١٥١] فدل على أن الشرك أعظم المحرمات.

فإذا تبيَّن أنَّ التوحيد أعظم الأوامر، وأن الشرك أعظم المنهيات فلابد لداعية التوحيد أن يشتغل بدعوة الناس إلى التوحيد؛ لأنه أعظم الأوامر وضده أعظم النواهي، وقد طبق النبي ﷺ هذا عمليًا، فمكث النبي ﷺ في مكة عشر سنوات لا يدعو إلا إلى

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ١٦١) رقم: (٤٣٤١، ٤٣٤٢)، و«صحيح مسلم» (٦/ ٦) رقم: (١٨٢٤).

التوحيد فحسب، ثم فرضت الصلاة، فاستمر في مكة بعد ذلك ثلاث سنواتٍ وصار المجموع ثلاث عشرة سنة، لكن جلس أول عشر سنوات لا يدعو الناس إلا إلى توحيد الله، وهذا يدل على أهمية التوحيد، فالواجب على كل داعية وناصح أن يشتغل في تعلم التوحيد وتعليمه للناس.

ومن كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتبين أهمية التوحيد من جهتين:

الجهة الأولى: أنه الأمر الذي أمر الله به جميع الناس.

الجهة الثانية: أن الله خلق الناس من أجله، فالذي يدل على الجهة الأولى قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾، والذي يدل على الجهة الثانية قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

وهذا يؤكد ما تقدم ذكره من أهمية التوحيد، ومن أهمية الاشتغال به علمًا وتعلمًا ودعوةً، فإنه الفارق الأعظم بين المسلم والكافر.

(المتن)

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ.

(الشرح)

هذه الأصول الثلاثة هي مسائل القبر التي يُسأل عنها الميت في قبره، وهذه الأصول الثلاثة جاءت في حديث البراء عند أصحاب السنن[١] أنه يُسأل عن هذه الثلاث، وقد صحح الحديث جمعٌ من أهل العلم كالبيهقي[٢] وابن منده[٣] وأبي نعيم[٤] وذكر ابن القيم[٥] أنه لم يطعن فيه أحد من أهل الحديث.

وأصل الحديث في البخاري ومسلم[٦]، وقد جاء من طرقٍ وليست فيه كثيرٌ من الزيادات المذكورة في حديث البراء المطول الذي أخرجه أحمد وغيره، وفي مسلم رواية أنه أجاب عن أمرين:

السؤال عن ربه وعن نبيه محمدٍ ﷺ أما الرواية التي خارج "**الصحيحين**" ففيها يُسأل عن ثلاثة، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هذه الأصول الثلاثة بأنها المسائل التي يُسأل عنها الميت في قبره، بناءً على حديث البراء المخرج خارج "**الصحيحين**".

وفيما يلي يُفّصل الإمام المصنف هذه الأصول الثلاثة، فيذكر أولًا معرفة العبد ربه ثم يذكر معرفة دين الإسلام ثم معرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ.

---

(١) مسند أحمد (٣٠/ ٤٩٩) رقم (١٨٥٣٤)، وسنن أبي داود (٧/ ١٣١) رقم: (٤٧٥٣)، و«سنن النسائي» (٤/ ١٠١) رقم: (٢٠٥٧) و«سنن ابن ماجه» (ص٨٩٩) رقم: (٤٢٦٩).

(٢) «إثبات عذاب القبر للبيهقي» (ص٣٩) رقم: (٢٠)، و«شعب الإيمان» (١/ ٦١٢).

(٣) الإيمان - ابن منده (٢/ ٩٦٥) عند حديث رقم: «١٠٦٤».

(٤) نقله عنه ابن القيم في «تهذيب سنن أبي داود» (٣/ ٣٢٤).

(٥) «الروح لابن القيم» (١/ ١٣٦)، وصححه في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٤٣).

(٦) «صحيح البخاري» (٦/ ٨٠) رقم: (٤٦٩٩)، و«صحيح مسلم» (٨/ ١٦٢) رقم: (٢٨٧١).

(المتن)

الأصل الأول: فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأراضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] والرب هو المعبود.

والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ".

(الشرح)

بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالكلام على الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه، فقال: فإذا قيل لك: من ربك، أي: من هذا الرب الذي لا إله إلا هو وتعبده وحده دون غيره؟ قال: فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه.

والدليل على أنه ليس لك معبودٌ سوى الله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ووجه الدلالة هو قول المصنف: وكل من سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم، لأنه رب العالمين، رب جميع المخلوقات، رب كل أحدٍ إلا هو سبحانه.

قال: (فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته)، يعرف الرب بأمرين اثنين بآياته ومخلوقاته، ثم عرف الآيات بقوله: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

والفرق بينهما أن كل ما سوى الله مخلوق كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، الله خالق كل شيء، لكن هذه المخلوقات تختلف، فالآيات والمخلوقات إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا اجتمعا فيراد بالآيات: المتحركات، ويراد بالمخلوقات: الثابتات ودلالة المتحرك أقوى من دلالة الثابت، فلو صنع رجلٌ صنعةً تتحرك فهي أبلغ في إتقان الصنعة من صنعةٍ ثابتة، وإذا افترقا فكل مخلوق آية وعلامة على الله ﷻ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد سبحانه، وكذلك كل الآيات.

لذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقل: بآياته ومخلوقاته)، فكلاهما مخلوقان لكنهما إذا اجتمعا افترقا، فصارت الآيات متحركات والمخلوقات ثابتات.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، هذه متحركات، قالوا: والمخلوقات هي السماوات السبع والأرضون السبع، وهذه ثابتة.

قال المصنف: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..﴾، الآية).

ثم استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ

﴿بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] استدل المصنف على المخلوقات والآيات.

فدليل الآيات قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، ودليل المخلوقات قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]).

هذه الآية فيها أمرٌ بعبادة الله وحده، لأنه لا خالق إلا هو، فكما أنه لا خالق إلا هو وهذا عملٌ عظيم كذلك لا تكون العبادة -وهي أعظم الأشياء- إلا لله وحده، لذلك نقل قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق لعبادته، وهذا الكلام موجود في تفسير ابن كثير بمعناه[١].

وفي الكلام المتقدم تقرير قاعدةٍ مهمة وهي: أن الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه الإقرار بتوحيد الإلوهية.

وكذلك الإقرار بتوحيد الإلوهية متضمنٌ للإقرار بتوحيد الربوبية، فإذا كان لا يعبد إلا الله فهذا يتضمن أنه لا خالق إلا الله، وإذا أقر بأن الله هو الخالق الرازق فهذا يلزم منه أن يقر بأنه لا يعبد إلا الله.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٤).

وقد نص على هذه القاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويدل عليه كلام ابن كثير المتقدم، وهو مأخوذٌ من القرآن في مثل آية البقرة السابقة، وقد احتج الله سبحانه على إقرار الكفار بتوحيد الربوبية بأن يقروا بتوحيد الإلهية وألا يعبدوا إلا إلهًا واحدًا سبحانه.

تنبيهات ثلاثة:

التنبيه الأول: الألف واللام إذا أتى بعدها أمرٌ معنويٌ فهي بمعنى الاستحقاق، بخلاف ما إذا أتى بعدها أمرٌ حسيٌ فهي بمعنى الملك.

أفاد هذا ابن هشام في كتابه " **المغني اللبيب** "[٢] فيكون وجه الدلالة من هذه الآية ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، أن المستحق للعبادة هو رب العالمين وحده وهو الله ﷻ؛ لأن المؤلف ذكر هذه الآية للدلالة على أنه لا معبود إلا الله.

التنبيه الثاني: أن المؤلف لمَّا دلل على الآيات في قوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**﴾، ثم بعد ذلك دلل على المخلوقات في قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾، أورد هاتين الآيتين التي فيهما ختم كل آية بما يدل على أنه لا يعبد إلا الله وحده، فقال في الآية الأولى: ﴿**لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ**﴾، أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر وإنما ﴿**اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾، ثم في الآية الأخرى قال: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾.

كما أنه لا خالق إلا الله فكذلك لا يكون أمرٌ إلا من الله ﷻ.

---

(١) «قاعدة جامعة في توحيد الله» (ص٦٨)، و«جامع المسائل لابن تيمية» (٦/ ٩٨)، و«منهاج السنة» (٣/ ٢٨٩ و٣١٣).

(٢) «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (ص٢٧٥).

التنبيه الثالث: الذي يدل على أن الرب هو المعبود أن النزاع مع الكافرين في العبادة فقوله سبحانه: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

فيكون معنى الأية أن الله لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين معبودين؛ لأن النزاع معهم كان في العبادة لا في الخلق والرزق، فهذا يدل على أن الرب يطلق ويراد به المعبود، وهذا مفيد لكشف شبهةٍ عند المشركين المتأخرين وهي قولهم: إن الإنسان إذا سئل في قبره: من ربك؟ يُسأل عن توحيد الربوبية لا عن توحيد الإلهية، والجواب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: أن الرب يطلق بمعنى المعبود كما تقدم.

الوجه الثاني: أنه إذا سئُل عن الربوبية فهو سؤال أيضًا عن الإلوهية؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزمٌ الإقرار بتوحيد الإلوهية.

(المتن)

ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة»، والدليل قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية[الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

(الشرح)

قول الإمام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنه الدعاء والخوف والرجاء ...) إلى آخره، المراد من أنواع العبادة، فضمير الهاء يعود على أنواع العبادة وهو الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

أجمل المصنف ثم فصّل بذكر كل عبادةٍ ودليلها، لكنه ذكر جملةً من أنواع العبادات لأنه قال: وغير ذلك من أنواع العبادات، فالعبادات أكثر مما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وإنما ذكر هذا من باب التمثيل.

والعبادات لا تكون إلا لله، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ فصرفها لغير الله شرك أكبر، والقاعدة الشرعية أن الدعاء إذا أطلق في الكتاب

والسنة فيراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة إلا لقرينة كما بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[١] وابن القيم في " **جلاء الأفهام** "[٢]

ودعاء المسألة مطلق الطلب كقول: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب تب عليّ، يا رب من عليّ بالعلم النافع، فهذا يسمى دعاء مسألة، أما دعاء العبادة مطلق التعبد، فالصلاة تسمى دعاء عبادةٍ والزكاة والصدقة والحج وكل العبادات تسمى دعاء عبادةٍ.

ودعاء العبادة لا يصرف لغير الله مطلقًا، فمجرد صرفه لغير الله شركٌ أكبر، أما دعاء المسألة إذا فعل على وجه التعبد فلا يجوز إلا لله، وبعضه خاص لله مجرد فعله لغير الله شرك.

والأفعال المُتعبَّد بها نوعان:

النوع الأول: أفعال لا تأتي إلا عبادة، كالذبح، فإن الذبح والنذر لا يأتي إلا عبادةً.

النوع الثاني: أفعال تأتي عبادةً وغير عبادة كالخوف والرجاء.

فالتي لا تأتي إلا عبادة إذا صرفت لغير الله صارت شركًا أكبر، أما التي تأتي عبادة وغير عبادة، إذا صرفت لغير الله لا تكون شركًا أكبر بل ينظر إن فعلها على وجه التعبد فهي شركٌ أكبر، وإن لم يفعلها على وجه التعبد فليست شركًا أكبر.

ودعاء المسألة قد يكون عبادةً وقد لا يكون قال الله ﷻ: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦١] قال: ﴿**نَدْعُ**﴾.

وقال الله تعالى: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ [النور: ٦٣] لو كان عبادةً لما دُعي النبي وإنما الله وحده.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٠-١١)، «النبوات لابن تيمية» (١/ ٣٧٧).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص١٦٠).

أما الذبح فلا يأتي إلا عبادةً، والأفعال التي تأتي عبادةً وغير عبادة لابد أن يفصل فيها، فمنها ما هو شركٌ أكبر إذا كان على وجهٍ خاصٍ بالله سبحانه، كدعاء البعيدات فإنه لا يسمع البعيدات إلا الله، فاتساع السمع للبعيدات خاصٌ بالله وحده كما بين ذلك ابن تيمية في " **الإخنائية** "[١] وابن عبد الهادي في " **الصارم المنكي** "[٢] أو يقتضي أن هذا البعيد يعلم الغيب كما ذكره السهسواني[٣]، فلا يسمع البعيدات، ولايعلم البعيدات إلا الله، فلو دعا رجل رجلًا في الهند أو السند بأن قال: يا فلان أعطني ريالًا لصار شركًا أكبر؛ لأن السمع لا يتسع للبعيدات وإنما هذا خاص بالله فمعنى هذا الدعاء اعتقاد أن السمع يتسع للبعيدات أو أنه يعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ**﴾.

فادعاء علم الغيب شرك أكبر، وادعاء سماع البعيدات شرك أكبر من جهةٍ أخرى، وهي أن اتساع السمع للبعيدات خاصٌ بالله.

أما الدعاء في أمر غير خاص بالله في المباحات فهو مباح، كمن دعا حاضرًا حيًا قادرًا بأن يقول: يا فلان أعطني عشر ريالات، وهو قادر وحي وحاضر فهذا جائز، بحسب الدعاء فقد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًا إذا كان لله، وقد يكون الدعاء مباحًا أو مكروهًا أو محرمًا وهذا المحرم قد يكون شركًا أكبر أوشركًا أصغر أوبدعةً.

فيختلف باختلاف الأحوال وقد بينت ذلك في كتاب " **قواعد ومسائل في توحيد الإلهية** "وفي كتابي (الإلمام).

---

(١) «الإخنائية أو الرد على الإخنائي ت العنزي» (ص٣٤٨).

(٢) «الصارم المنكي في الرد على السبكي» (ص١٦١).

(٣) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (ص٣٦٦).

ومما نازع الخصوم فيها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب زعمهم أن دعاء الأولياء الأموات ليس عبادةً فلا يكون شركًا وقد ذكر هذه الشبهة الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه " **كشف الشبهات** "[(١)].

وكشف هذه الشبهة أن ما فعل على وجه الديانة، وإصلاح القلوب فهو عبادة كما بين هذا ابن تيمية في المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى[(٢)]، وكل ما يحبه الله ويرضاه بأن يجعل عليه أجرًا أو ثوابًا أو أن يجعله من الإيمان، أو أن يجعله من الأفعال التي يرضى عنها إلى آخره فهو عبادة، لأن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فكل من صرف هذا الفعل الذي يأتي غير عبادة على وجه التعبد لغير الله فهو شركٌ أكبر.

أما إذا كان لا يأتي إلا تعبديًا فبمجرد صرفه لغير الله شركٌ أكبر.

قال المصنف: (**والدليل قوله تعالى**) الدليل على أن العبادات خاصةٌ لله (﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾) لا تعبد مع الله أحدًا، والدعاء يراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾، فالعبادة خاصة بالله فصرفها لغير الله شرك وكقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ**﴾.

هاتان الآيتان دالتان على أن العبادة خاصةٌ لله وتقدم في ضابط الشرك أنه تسوية غير الله بالله في شيءٍ من خصائص الله، وبهذه الآية استدل المصنف في بيان أن العبادات لله وحده، ولذلك قال: وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى ثم استدل بهذه الآية.

---

(١) «كشف الشبهات» (ص٨٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٣٠).

ثم أراد أن يقرر أن صرف هذا الفعل لغير الله شركٌ أكبر فقال: (فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافر) فصرفها لغير الله شركٌ أكبر؛ لأن حد وضابط الشرك: تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله سبحانه -كما تقدم-.

قال المصنف: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾) الشاهد ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، سماهم كافرين فدل هذا على أن صرف العبادة لغير الله شركٌ أكبر وخروجٌ من الملة، فالدعاء شامل للمسألة والعبادة.

أما قوله سبحانه: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، هذا وصف كاشف لا مفهوم له، فهو ليس من الألفاظ التي لها مفهوم بدليل ليس لأحدٍ برهانٌ في دعوة وعبادة غير الله سبحانه، فهو وصفٌ كاشف.

ومثل ذلك ما في "صحيح مسلم"[١] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله»، فهذا لا يراد به أن الاجتماع في غير المساجد لا يثاب عليه وإنما هذا وصفٌ كاشف لا مفهوم له.

كما بين ذلك ابن علان في شرحه على رياض الصالحين[٢]، ويدل لذلك دليلان:

الدليل الأول: ذكر بيتٍ من بيوت الله في الحديث خرج مخرج الغالب والقاعدة المجمع عليها أن ما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له بالإجماع كما بين ذلك الآمدي[٣].

---

(١) «صحيح مسلم» (٨/ ٧١) رقم: (٢٦٩٩).

(٢) «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٦/ ٥٠٨).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ١٠٠).

الدليل الثاني: حديث آخر رواه مسلم[١] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قومٌ يتلون كتاب الله**»، ولم يذكر بيتًا من بيوت الله، فهذا وصف كاشف لا مفهوم له.

علمًا أن الأصل في الألفاظ أن لها مفهومًا، وإذا لم يكن للفظ مفهوم مخالفة فهو وصفٌ كاشف.

وبعد هذا انتقل المصنف إلى ذكر الأدلة على أنواع العبادة، قال: **ومنه الدعاء**. فالمصنف يريد أن يستدل على كل نوعٍ من أنوع العبادة فيذكر الدليل على أن هذا الفعل كالدعاء عبادة.

قال المصنف: (وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة")، هذا الحديث يدل على أن الدعاء عبادة، فإذا تقرر أنه عبادة فصرفه لغير الله شركٌ أكبر، والحديث هذا أخرجه الترمذي[٢] وغيره من حديث أنس لكن لا يصح إسناده، وإنما الصحيح ما ثبت عند الأربعة[٣] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**».

فصرف الدعاء لغير الله شركٌ أكبر، والدعاء يراد به النداء لغةً إلا أن الذي يبحث في كتب التوحيد النداء المقرون بطلب.

---

(١) «صحيح مسلم» (٨/ ٧٢) رقم (٢٧٠٠).

(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٣٨٦) رقم: (٣٣٧١)، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(٣) «مسند أحمد» (٣٠/ ٢٩٧) رقم: (١٨٣٥٢) ط الرسالة، و«سنن أبي داود» (٢/ ٦٠٣) رقم: (١٤٧٩)، و«سنن الترمذي» (٥/ ٨٠) رقم: (٢٩٦٩)، و«النسائي في السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٤) رقم: (١١٤٠٠)، و«سنن ابن ماجه» (ص٨٠٣) رقم: (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فذا قال قائل: دعاء غير الله كالأموات شركٌ أكبر وقد جاء في الشريعة دعاء ميت كما في الصحيحين[١] عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال في التحيات: «**السلام عليك أيها النبي**»، وثبت عن عمر في " **الموطأ** "[٢] أنه كان يقول على المنبر، وهذا بعد وفاة النبي ﷺ " **السلام عليك أيها النبي**".

وقد أجاب عن هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية في " **اقتضاء الصراط المستقيم** "[٣] وفي " **منهاج السنة** "[٤] ومحمد بشير السهسواني في كتاب "**صيانة الإنسان** "[٥] بجوابٍ أوضح وهو أن الدعاء للميت الذي هو شركٌ هو الدعاء المقرون بطلب، فقول: السلام عليك أيها النبي، ليس فيه طلب شيء، وهو كما أخرج الشيخان[٦] عن أنس بن مالك عن رسول الله أنه قال «**وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»، والمراد ابنه إبراهيم، وابنه قد مات فهذا ليس شركًا لأنه ليس نداءً مقرونًا بطلب.

وإنما الشرك هو النداء المقرون بطلب، والطلب قد يكون حقيقيًا، وقد يكون حكميًا، والرافضة -عليهم لعائن الله -يقولون: يا علي يا حسين، بل إن نساءهم في شدة الكرب عند الولادة يقلن: يا علي يا حسين، والمراد فرّج عنا، وسهّل علينا ما نحن فيه إلى آخره.

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ١٦٦) رقم: (٨٣١)، و«صحيح مسلم» (٢/ ١٣) رقم: (٤٠٢).

(٢) «موطأ مالك - رواية أبي مصعب الزهري» (١/ ١٩٣) رقم: (٤٩٩).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣١٩).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٦٨).

(٥) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (ص٣٦٦).

(٦) «صحيح البخاري» (٢/ ٨٣) رقم: (١٣٠٣)، و«صحيح مسلم» (٧/ ٧٦) رقم: (٢٣١٥).

فهذا نداءٌ مقرونٌ بطلب لكن الطلب حكميٌ لا حقيقيٌ، ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وجه الدلالة أنه لما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾، قال بعد ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، دل هذا على أن الدعاء عبادة، فصرف الدعاء لغير الله شركٌ أكبر.

ثم انتقل إلى النوع الثاني وهو الخوف، قال: (ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: من الآية١٧٥]) فالخوف عبادة بدليل أنه علق الإيمان على الخوف.

تنبيه: إذا أُثبت لله شيء فلا يكون خاصًا به إلا إذا دل الدليل على أنه خاصٌ به، فالله يُدعى، ويُخاف، ويُرجى، إلى آخره، فليست هذه خاصةً بالله، والأصل أنها له ولغيره إلا إذا دل دليلٌ على أنها خاصٌ بالله، لكن نوع دعاء الله وخوفه ورجائه يختلف عن فعله للمخلوقين؛ لكن أصل الدعاء والقول والرجاء إلى آخره يشترك فيه الخالق والمخلوق، مثل الوجود فإن الخالق موجود والمخلوق موجود وإن كان وجود الخالق وجودًا واجبًا ليس مسبوقًا بفناء وليس ملحوقًا بعدم، أما المخلوق فوجوده جائز لأنه مسبوقٌ بفناء وملحوقٌ بعدم.

وأما الخوف، فالأصل في لفظ الآية أن الخوف خاصٌ بالله؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فظاهره أنه خاصٌ بالله لأنه قال: فلا تخافوهم، ثم أثبته لنفسه، لكن دلت الأدلة الأخرى على أن الخوف يكون من المخلوقين، فلابد من التفصيل في الخوف.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] إن الخوف يكون من الخالق ومن المخلوق، لكن نوع وكيفية الخوف من

الخالق تختلف عن المخلوق، فيفصل في الخوف كالدعاء، فهو ما بين خوف واجب وخوف مستحب.

فأصل الخوف في القلب شرط للإيمان، كما نص على هذا ابن القيم في "**مدارج السالكين**"[١] وذكر ابن رجب في "**التخويف من النار**"[٢] أن من الخوف واجبًا ومنه مستحبًا.

فمن الخوف ما هو واجب ومنه ما هو مستحب ومنه ما هو مباح، كأن يخاف ممن له قدرة على فعل ما يهدد به، أو يخشى أن يضر إلى آخره.

ويذكر العلماء كأئمة الدعوة في كتبهم خوف السر، والمراد به كما أشار إلى ذلك الشيخ سليمان بن عبد الله في مقدمة "**تيسير العزيز الحميد**"[٣] أن يخاف من الولي أو غيره أن يضربغير اتصالٍ بين السبب والمسبب، كمثل ولي في قبره يخشى أن يضربه أو يقتله أو أن يفعل به كذا وكذا، وهذا لا يستطيعه إلا إذا لم يكن اتصال بين السبب والمسبب، والذي يفعل الأشياء بغير اتصال بين السبب والمسبب هو الله وحده ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢].

قال المصنف: (**ودليل الرجاء، أي والدليل على أن الرجاء عبادة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠])

والأصل فيما ثبت لله أنه يثبت لغيره ما لم يدل الدليل على أنه خاصٌ بالله.

ومعنى الرجاء هو الطمع في حصول المطلوب فهو مرادفٌ لمعنى الأمل، وبين الرجاء والتمني فرق وهو أن التمني حصول مطلوب بعيد، كما قال الشاعر: "**ألا ليت الشباب يعود يومًا**" هذا بعيد أو ممتنع.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٥).

(٢) «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» (٤/ ١١٢).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٣).

أما الرجاء والأمل فهو حصول مطلوب قريب وقد يحصل وقد لا يحصل، والرجاء عبادة ويكون لغير الله بدليلين:

الدليل الأول: أن ثبوته لله لا يمنع أن يثبت لغير الله كما تقدم بيانه.

الدليل الثاني: فقوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٦٠] فأثبت الله سبحانه الرجاء للمخلوقين.

قال المصنف: (ودليل التوكل، أي الدليل على أن التوكل عبادة).

ومعنى التوكل: اعتماد القلب على الله مع فعل الأسباب، وهذا قريب من المعنى الذي ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم(١).

والأصل أنه ليس خاصًا بالله إلا إذا دل الدليل على أنه خاصٌ بالله، وقوله تعالى: ﴿عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: من الآية٢٣] يدل على الخصوصية لأنه قدم الجار والمجرور، فتقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص، فيكون التوكل خاصًا بالله، فأفاد حصر التوكل على الله سبحانه.

وقد تنازع العلماء في إطلاق التوكل على غير الله، ولم أر دليلًا مستقيمًا في بيان أن التوكل ليس خاصًا بالله، بل إن الأدلة تدل على أن التوكل خاصٌ بالله سبحانه فهو اعتماد القلب مع فعل الأسباب، والقول بأنه خاص بالله هو ظاهر قول الإمام أحمد وغيره وهو ظاهر كلام ابن القيم فقد ذكر أن التوكل عمل القلب(٢).

ومن قال: إن التوكل ليس خاصًا بالله فيلزمه الدليل.

فعليه لا يقال: أتوكل على الله ثم عليك؛ لأن التوكل خاصٌ بالله، فمن قال ذلك لفظًا وقع في الشرك الأصغر لفظًا، فيصير التوكل تمامًا كالحلف، لا يصح أن يحلف بغير

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٩٣)، (٢/ ٤٩٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٨٥).

الله، كذلك لا يصح أن يتوكل على غير الله، فإن الحلف بغير الله لفظًا شركٌ أصغر، والتوكل على غير الله لفظًا شركٌ أصغر، وقول: أتوكل على الله ثم على فلان شرك تمامًا كقول: أحلف بالله ثم بفلان، فالتوكل خاصٌ بالله كالحلف فإنه خاصٌ بالله سبحانه والدليل ﴿عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: من الآية ٩٠]).

ومعنى الرغبة يرجع إلى الطمع في حصول الشيء والإلحاح، ولذلك ادع الله برغبة أي بطمعٍ وإلحاحٍ وبنحو هذا المعنى.

والرهبة خوف مع فزعٍ، والخشوع بمعنى الانكسار وما يرادف ذلك.

والرغبة ليست خاصة بالله كما هو الأصل ولم أقف على دليل يدل على أن الرغبة خاصة بالله، بل هناك ما يدل على أنها ليست خاصةً بالله، قال: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، فأثبت الرغبة، ويدل على صرف الرهبة لغير الله قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ﴾.

ولم أقف على دليلٍ خاص يثبت الخشوع لغير الله، وبالرجوع للقاعدة السابقة فليس خاصًا بالله إلا إذا دل دليلٌ على ذلك، ولم أقف على دليل يدل على أنه خاصٌ بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (ودليل الخشية قوله تعالى ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾) الخشية قريبة من معنى الخوف، بل هو نوعٌ من أنواع الخوف، إلا أن هناك فرقًا بين الخشية والخوف وقد

ذكر هذا ابن القيم في كتابه مدارج السالكين[١]، والشيخ العلامة ابن عثيمين في شرح كتاب " **التوحيد** "[٢] وشرحه لثلاثة الأصول[٣].

الفرق الأول: أن الخشية خوفٌ مع المعرفة بخلاف الخوف قد لا يكون مع معرفةٍ وعلم، لذا أثبت الله الخشية للعلماء قال: إنما يخشى الله من عباده العلماء، فالخشية خوفٌ مع علم ومعرفة.

وقد ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في " **مدارج السالكين** "[٤].

الفرق الثاني: أن الخشية خوفٌ مع كون المخشي معظمًا، بخلاف الخوف قد لا يكون معظمًا ويخاف منه، فيسمى خوفًا لا خشية، ذكر هذا الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في شرحه على كتاب " **التوحيد** "[٥].

وظاهر هذه الآية أن الخشية خاصةٌ بالله لأن الله يقول: ﴿**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**﴾، لكن دل دليل على أن الخشية تصرف لغير الله فقد ثبت في "**الصحيحين**"[٦] عن ابن عمر قال ﷺ: «**فإذا خشي أحدكم الصبح فليصلي ركعةً واحدة توتر له ما قد صلى**»، فأثبت الخشية لغير الله.

قال: (**ودليل الإنابة، الإنابة بمعنى الرجوع، قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾**)، فهي عبادة لكن ليس هناك دليل يدل على أنها خاصةٌ بالله فتكون لله ولغير الله.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٢).

(٢) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٧٣).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول للعثيمين» (ص٦٠).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٠).

(٥) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٧٣).

(٦) «صحيح البخاري» (٢/ ٢٤) رقم: (٩٩٠)، و«صحيح مسلم» (٢/ ١٧٢) رقم: (٧٤٩).

قال: (ودليل الاستعانة قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله») يريد حديث ابن عباس[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فظاهر قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أن الاستعانة خاصةٌ بالله؛ لأنه قدم المعمول على العامل، فيفيد الحصر والخصوصية، لكن هناك دليل يدل على أن الاستعانة تكون لغير الله وهو ما أخرجه البخاري[٢] عن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: «واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة»، فقوله: «واستعينوا»، جعل الاستعانة بغير الله وقد ذكر الشوكاني في كتابه (الدر النضيد) أن الاستعانة بغير الله فيما يقدر عليه جائزة إجماعًا فقال: "**ولا خلاف أنه يجوز أن يُستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه**"[٣].

قال: (ودليل الاستعاذة قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]) الأصل أن الاستعاذة ليست خاصةً بالله، بل وهناك دليلٌ خاص يدل على عدم اختصاصها بالله، فيما يقدر عليه المخلوق أخرج مسلم[٤] عن جابر أن النبي ﷺ أراد أن يقطع يد امرأة فاستعاذت بأم سلمة فقال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»، والشاهد فاستعاذت بأم سلمة فلم ينكر عليها النبي ﷺ ذات الاستعاذة بغير الله وإنما أنكر عليها أنها استعاذة في محرم.

---

(١) أحمد (٤/ ٤٠٩) رقم: (٢٦٦٩)، والترمذي (٤/ ٢٨٥) رقم: (٢٥١٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٦) رقم: (٣٩).

(٣) «الدر النضيد» للشوكاني (ص ١٤).

(٤) «صحيح مسلم» (٥/ ١١٥) رقم: (١٦٨٩).

فإن قيل: قد استدل السلف كأحمد وسفيان بن عيينة وغيرهما[١] على أن كلام الله غير مخلوق بأنه يستعاذ بكلام الله أخرج مسلم[٢] عن خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**»، قالوا: دل هذا على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه لا يستعاذ بالمخلوق.

فيقال: إن الاستعاذة في هذا الحديث استعاذة في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فلا يعيذ من جميع الشرور إلا الله ﷻ، ومثل هذا لا يكون من مخلوق.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري[٣] أن الاستعاذة من الدعاء ومثله الشيخ سليمان بن عبد الله في " **تيسير العزيز الحميد** "[٤].

قال: (**ودليل الاستغاثة قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾**) هذه الآية تفيد أن الاستغاثة عبادة، والفرق بين الاستعانة والاستغاثة أن الاستغاثة في الكرب والشدة، أما الاستعانة ففي وقت الرخاء وفي الكرب والشدة.

فالاستغاثة تكون لله ولغير الله؛ لأنه لا دليل يدل على أنها خاصةٌ بالله، ثم هناك ما يدل على أنها ليست خاصةً بالله، وهو ما في "**الصحيحين**"[٥] عن أبي هريرة قال النبي ﷺ يوم القيامة: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني**»، ولو كانت خاصة بالله لما قال: يا رسول الله أغثني، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزةٌ بالإجماع حكاها الشوكاني في " **الدر النضيد** "[٦] وابن تيمية في الرد

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٣٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٨/ ٧٦) رقم: (٢٧٠٨).

(٣) «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص٢٩٧)، و«مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٢٧).

(٤) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص١٧٢).

(٥) «صحيح البخاري» (٤/ ٧٤) رقم: (٣٠٧٣)، و«صحيح مسلم» (٦/ ١٠) رقم: (١٨٣١).

(٦) «الدر النضيد» للشوكاني (ص٩).

على البكري[١]، وما جاء في الاستغاثة فيدل على الاستعانة؛ لأن الاستغاثة استعانة، إلا أنها استعانة في حالة الشدة، فإذا جازت الاستغاثة بالإجماع فالاستعانة من باب أولى.

قال: (ودليل الذبح قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾) وجه الدلالة قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾، له سبحانه وحده، وأكد ذلك بقوله: ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾، فصرفه لغير الله شرك.

ثم قال: (ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله»)، أخرجه مسلم من حديث علي[٢].

لعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله، قال: «لعن الله من ذبح لغير الله» فدلّ على أن الذبح لا يكون إلا لله، فإذا لم يكن إلا لله فيكون خاصًا بالله فصرفه لغير الله شرك أكبر، وليس هناك دليل يدل على أن الذبح لغير الله.

ولا يدخل في ذلك الذبح للضيف؛ لأنه لا يراد به إزهاق النفس وإراقة الدم، وإنما اللحم، لكن اللحم لا يتيسر إلا بإزهاق النفس وإراقة الدم، والذي يُبحث في كتب التوحيد إزهاق النفس وإراقة الدم لذاته، كذبح الأضحية، فمن ضحى فسُرقت فهو مضحي؛ لأن المراد ذبح الأضحية لا أكل لحمها، فمن ذبح لغير الله -وهو قصد إراقة الدم وإزهاق النفس- فهو الشرك الأكبر.

قال المصنف: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]).

---

(١) «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٦/ ٨٤) رقم: (١٩٧٨).

النذر عبادة ولا يكون إلا لله، والدليل على أنه عبادة قوله سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ وهذا مدح ومدح الشيء يدل على أنه عبادة.

فإن قيل: هذا في الإيفاء بالنذر، وفرق بين النذر والإيفاء به؟

فيقال: قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ بأن يجازي عليه. وهذا يدل على أن النذر عبادة لذا يجازي ويثيب عليه، ولا يصح القول بأن كل النذر مكروه؛ لأن مقتضاه ألا يكون عبادة لأن العبادة يحبها الله والمكروه لا يحبه الله.

أما ما أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر[(١)] وأبي هريرة[(٢)]: «**نهى النبي ﷺ عن النذر؛ قال: وإنما يُستخرج به من البخيل**» فالمراد به النذر المقيد، وليس النذر المطلق، فالنذر المقيد كقول: إن شفى الله مريضي فعلت كذا، إن نجحت في اختباراتي فعلت كذا، أما المطلق فهو النذر لله ابتداءً كالنذر بالذبح له وهذا عبادة مستحبة.

قد يقول قائل: يلزم على هذا أن النذر المقيد ليس عبادة لأنه مكروه.

فيقال: إن الكراهة رجعت إلى وصفه لا أصله، فالدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك أكبر -على ما تقدم بيانه- والاعتداء في الدعاء مكروه والكراهة جاءت في وصفه لا أصله وهكذا النذر المقيد؛ فإن الكراهة في وصفه وهو التقييد لا إلى أصل النذر، ومن الخطأ القول بأن كل نذر مكروه أو محرم؛ لأن لازم هذا أنه ليس عبادة وصرفه لغير الله ليس شركًا أكبر.

فالنذر عبادة، والنذر هو إلزام النفس بمباح لم يُلزم الله به ولا رسوله ﷺ، فيلزم النفس بفعل شيء لله لم يلزمه الله به ولا رسوله ﷺ.

هذه بعض أنواع العبادة كما ذكر الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ١٢٤) رقم: (٦٦٠٨)، و«صحيح مسلم» (٥/ ٧٧) رقم: (١٦٣٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٨/ ١٢٥) رقم: (٦٦٠٩)، و«صحيح مسلم» (٥/ ٧٧) رقم: (١٦٤٠).

تنبيه: إن هناك أدلة يستدل بها بعض أهل العلم لإثبات جواز إطلاق شيء على غير الله كالرجاء فقد ذكر محمد بشير السهسواني في كتابه النافع "**صيانة الإنسان**"[١] أن الرجاء يُفعل لغير الله، بأن يُرجى غير الله، واستدل بقوله ﷻ: ﴿**يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا**﴾ وفي هذا الاستدلال نظر؛ وذلك أن الذي قال هذا هم المشركون، ومن المعلوم أنه لا يُحتج بأفعال المشركين، لذلك لا يصح الاستدلال بهذه الآية.

وكالاستدلال بقوله ﷻ: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى**﴾ فاستدل بها بعض أهل العلم على أن الاستغاثة ليست عبادة على الإطلاق؛ بدليل أن الإسرائيلي استغاث بموسى، قال: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**﴾، وقد بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاستدلال بهذا لا يصح في كتابه الرد على البكري[٢]، ووجه هذا أن موسى لم يكن وقتها نبيًا ليحتج بفعله، وإن كان في موضع من مجموع الفتاوى[٣] قرر صحة الاستدلال بهذه الآية، فيكون لشيخ الإسلام في الاستدلال بهذه الآية قولان، والأصح –والله أعلم– أنه لا يصح الاستدلال بها في بيان أن من الاستغاثة ما لا يكون عبادة، مع الإقرار بأن من الاستغاثة ما لا يكون عبادة فيصرف للمخلوق كما تقدم بيان ذلك، بل وعليه إجماع أهل العلم كما سبق ذكره، وإنما البحث في الاستدلال بهذه الآية.

---

(١) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (ص٢٨٢، ٢٨٦).

(٢) «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص١٤٠). ط المطبعة السلفية، وبنحوه قال أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه تطهير الجنان (ص٤٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٠٣-١٠٤).

(المتن)

(الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ. وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ).

(الشرح)

بدأ الإمام المجدد المصلح في ذكر الأصل الثاني من ثلاثة الأصول، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ)، وتقدم بحث قوله: (بِالأَدِلَّةِ) وأن هذا يختلف باختلاف المتعلم، فإن كان عاميًا فدليل العامي قول العالم المجتهد الموثوق بعلمه، وأما من عدا هؤلاء من المجتهدين فدليلهم الكتاب والسُنة وما عُلم من الأدلة الشرعية.

قوله: (وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) هذا التعريف للإسلام تضمن أمورًا ثلاثة:

الأمر الأول: تضمن الاستسلام لله بالتوحيد، وهذا يتعلق باعتقاد القلب.

الأمر الثاني: الانقياد بالطاعة، وهذا يتعلق بالظاهر.

الأمر الثالث: البراءة من الشرك وأهله، وهذا من جهة النفي؛ لأن الإسلام يتضمن إثباتًا ونفيًا، والإثبات يكون بالظاهر والباطن، فالباطن الاستسلام لله بالتوحيد، والظاهر الانقياد بالطاعة، وأما النفي فالبراءة من الشرك وأهله، فلا يتم الإسلام إلا بالبراءة من الشرك، ومعنى البراءة من الشرك أن يُعتقد أن الشرك باطل، وأن من اعتنق الشرك فهو مشرك كافر.

وقوله: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ) أبلغ من قول: والخلوص من الشرك، أو من قول: وترك الشرك؛ لأن البراءة ترك وزيادة فهو ترك مع العداء والبغضاء، وهو الذي جاء به

القرآن فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ وقد جعلت البراءة من أمرين: من الشرك وأهله؛ ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ تبرأ من أهل الشرك ومن الشرك، وهذا هو معنى قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) فلا يكفي البراءة من الشرك بل تجب البراءة من أهله أيضًا، وسبق الكلام على عقيدة الولاء والبراء.

ثم قال الشيخ: (وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ) يذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بالإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، ويذكر الأدلة.

(المتن)

(المرتبة الأولى: الإسلام. فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إِلٰه إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ ﴿لا إله﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلا اللهُ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ ﷻ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]).

(الشرح)

هذا كله يتعلق بالمرتبة الأولى وهي مرتبة الإسلام، ومرتبة الإسلام كما ذكر الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها خمسة أركان، قال: (فأركان الإسلام خمسة).

الركن الأول الشهادتان، والركن الثاني إقام الصلاة، والركن الثالث إيتاء الزكاة، والركن الرابع صوم رمضان، والركن الخامس حج بيت الله الحرام، واستدل على كل ركن من هذه الأركان الإمام المجدد المصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أنه استطرد في الركن الأول وهو الشهادتان؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لأهميتها ولأنها المقصودة بالتأليف.

قال: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ﴾) والشاهد قوله: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ﴾ ففيه ذكر الشهادة على كلمة التوحيد من القرآن.

ثم انتقل الشيخ إلى بيان معناها؛ قال: (وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ)، وقد سبق بيان أن كفار قريش مقرون بتوحيد الربوبية، وأن كلمة التوحيد لا ترجع إلى توحيد الربوبية وإنما ترجع إلى توحيد الإلهية؛ لأنها لو كانت ترجع لتوحيد الربوبية لأقر بها كفار قريشٍ، والله ﷻ يحكي عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله أُقر إقرارًا جازمًا بلساني وأعتقد جازمًا بقلبي أنه لا معبود بحق إلا الله، لذا قال ﷻ: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ فالمعبود هو الله ﷻ.

قال الشيخ: (﴿لا إله﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلا اللهُ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ)، تقدم أن طريقة القرآن ذكر توحيد الربوبية للإلزام بتوحيد الإلهية، (كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ)، فيقول الشيخ أنتم تُقرون بأنه لا شريك لله في ملكه، ويلزم من هذا الإقرار بأنه لا شريك له في عبادته ﷻ.

والإقرار بكلمة التوحيد فيه أمران: النفي والإثبات:

فالنفي: ليس إله يُعبد بحق.

أما الإثبات: إثبات العبادة لله وحده

ثم انتقل الشيخ إلى بيان تفسير كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) من القرآن، قال: (وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾) هذا نفي؛ وهو بمعنى لا إله، قال: (﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾) هذا بمعنى إلا، فهذه الآية جمعت بين النفي والإثبات، وهي تُفسر كلمة التوحيد، لذا قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ثم ذكر الشيخ قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه﴾ هذا نفيٌ وإثبات، وهو تفسيرها.

فتفسير كلمة التوحيد جاء في آيتين ذكرهما الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الآية الأولى: قوله ﷻ: ﴿إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا نفيٌ، قال: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا إثبات.

الآية الثانية: قوله ﷻ: ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ هذا نفي ﴿إِلاَّ اللّه﴾ هذا إثبات، وهذا هو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وفي هاتين الآيتين كما تقدم تفسير هذه الكلمة العظيمة.

ثم قال المصنف: (وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى) يستدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا على هذه الكلمة بلوازمها ومقتضاها، وإلا فإن معنى شهادة أن محمدًا رسول الله الإقرار ولاعتراف جازمًا باللسان وجازمًا بالقلب أن محمد بن عبد الله الهاشمي هو رسول الله وخاتم النبيين إلى آخره، وهذا هو معناها لكن الشيخ ذكر لازمها ومقتضاها، لأن الإقرار بلازمها ومقتضاها إقرار بمعناها من باب أولى.

فذكر قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه الآية فيها بيان أن رسول الله من العرب، وأنه يشق عليه ما يتعب المؤمنين وهو حريص عليهم ورؤوف رحيم بهم ﷺ.

قال الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) ثم ذكر أمورًا أربعة، وهذه الأمور هي من مقتضياتها ومن لوازمها وليست معناها، وإلا فإن معناها الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب جازمًا على أن محمد بن عبد الله الهاشمي من قريش وأنه خاتم النبيين وأنه رسول الله جاء بدين الإسلام وأُنزل عليه القرآن، هذا هو معناها، وإنما ذكر الشيخ مقتضياتها ولوازمها.

وقد نبه على هذا ابن قاسم في حاشية "**ثلاثة الأصول**"[١] قال: (**هذه لوازمها**)، وذكر مثل هذا شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في حاشيته على "**ثلاثة الأصول**"[٢]، والشيخ حافظ الحكمي في كتابه "**الأعلام المنشورة**"[٣].

وهذه اللوازم والمقتضيات أربعة:

١- الأول قوله: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ).

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول (ص ٩٤).

(٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص ٧٥).

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص ١٤).

٢- الثاني قوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ).

٣- الثالث قوله: قوله: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ).

٤-الرابع قوله: (وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ).

وهذه اللوازم والمقتضيات الأربعة مهمة، ولو ضُبطت وعُرفت لنجا الناس من كثير من المخالفات الشرعية.

أما الأمر الأول: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) إن كان على وجه الوجوب فيفعل وجوبًا، وإن كان على وجه الاستحباب فيفعل استحبابًا، ثم ذكر الأمر الثاني: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ) وقوله: (وَزَجَرَ) يُشير إلى المحرمات، فقوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ) كأنه -والله أعلم- معناها أشمل؛ فتشمل المحرم والمكروه، لكن قوله: (وَزَجَرَ) هذا الزجر إنما في المحرمات.

وهذا هو معنى ما في **الصحيحين عن** أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[1] علق الأمر بالاستطاعة أما النهي أمر ﷺ بالاجتناب.

قال: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) إذا أخبر بأمر فإنه يوقن به إيقانًا؛ لأنه ﷺ حق ولا يُخبر إلا بالحق.

قال: (وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ) لا يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ في العبادة، فإن التعبد بأي عبادة لم يتعبد بها رسول الله ﷺ بدعة.

هذه المقتضيات الأربعة التي يجب أن تُفهم، الأول لما قال: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) يتعلق بالأفعال، والأقوال الظاهرة والباطنة؛ لأن عمل القلوب يكون بالفعل أو بالترك،

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ٩٤) رقم (٧٢٨٨)، وصحيح مسلم (٧/ ٩١) رقم ١٣٠ - (١٣٣٧).

ومن الترك ترك الحسد وهو داخل في قوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ) وحب الله ورسوله ﷺ المؤمنين، داخل في قوله: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ).

قال: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) هذا يرجع إلى أقوال القلوب فإن الذي يُقابل الأخبار هو التصديق وهو قول القلب، فإن أصل التصديق هو قول القلب، لذلك القلب فيه عمل وقول.

والفرق بين عمل القلب وقوله ما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في تعليقاته على "**الواسطية**" وذكره غيره بذكر الأمثلة قال الشيخ السعدي: " **والفرق بين أقوال القلب وبين أعماله: أن أقواله هي العقائد التي يعترف بها القلب ويعتقدها، وأعمال القلب: فهي حركته التي يحبها الله ورسوله** "[١].

فتصديق الأخبار في ذكر القيامة والميزان والحساب، يُسمى قول القلب، وطاعة الشرع بحب المؤمنين وبغض الكافرين وأهل البدع، فهذا يُقابل الطلب، ويُسمى عمل القلب.

فالقلب فيه عمل وفيه قول، وترك قول القلب كفر بإجماع أهل السُنة، وأكثر المرجئة يُكفرون به، فالذي لا يُصدق بقلبه كافر حتى عند الأشاعرة وعند مرجئة الفقهاء.

وترك عمل القلب كفر بإجماع أهل السُنة كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[٢] وابن القيم في "**الصلاة** "[٣].

إذا تبين هذا فقوله: (وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ) فيه أن رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة وهو القدوة في عبادة الله؛ ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾، ويقول الإمام

---

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة (ص ١٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠).

(٣) «الصلاة لابن القيم» (ص٨٧).

أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**جاء الأمر بطاعة النبي ﷺ في بضعٍ وثلاثين موضعًا**)[١] فهذا فيه أمر بطاعة النبي ﷺ، يقول ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى[٢]: (**وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعا من القرآن**).

وقد تقدم أن البدعة هي التعبد بما لا دليل عليه، فكل تعبد بعبادة لا يقوم عليها دليل شرعي فهي بدعة.

تنبيهات:

التنبيه الأول: أن الأصل في العبادات الحظر والمنع، وهذا هو قول أهل السُنة وذكر شيخ الإسلام الإجماع كما في مجموع الفتاوى[٣] وفي "**القواعد النورانية**"[٤] وأقر بهذا الأصل الشاطبي في "**الاعتصام**"[٥] وابن رجب في شرح حديث: «**من أحدث في أمرنا هذا**» من كتاب "**جامع العلوم والحكم**"[٦]، وغيرهما من أهل العلم[٧].

فالأصل في العبادات الحظر والمنع، ويدل لهذا أن النبي ﷺ ذم من تعبد بما لا دليل عليه **ففي الصحيحين** عن عائشة قال قال **النبي** ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٨] فكل من أراد أن يتعبد بعبادة فلتكن بدليلها وإلا فهي مردودة.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦٠)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٥٣)، الصارم المسلول (ص ٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٦١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٥١).

(٤) القواعد النورانية (ص ١٦٣، ١٦٤)، وينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٤)، «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٥١).

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٢٠، ٤٦٨) (٢/ ٦٣٤).

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٧).

(٧) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥٤).

(٨) صحيح البخاري (٣/ ١٨٤) رقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (٥/ ١٣٢) رقم (١٧١٨).

التنبيه الثاني: لابد من معرفة قاعدة مهمة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية[١] وقبله الشافعي في "**الرسالة**"[٢]، والشاطبي في "**الاعتصام**"[٣] و"**الموافقات**"[٤]، وابن القيم في "**أعلام الموقعين**"[٥] وفي "**زاد المعاد**"[٦]، وصنيع أئمة السُنة يدل عليها، وهي أن فعل النبي ﷺ سُنة وتركه سُنة، فما ترك من العبادات فهو سُنة فالتعبد بما ترك بدعة، ويصح أن تسمى بالسُنة التركية، ففعله ﷺ سُنة وتركه سُنة، فالتعبد بما ترك من العبادات بدعة، وفهم هذا مهم وتترتب عليه أمور كثيرة، ففي الصحيحين في قصة النفر الثلاثة الذين تقللوا عبادته، لما أتوا وسألوا وقالوا: هذا رسول الله قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكل منهم أراد أن يتعبد بعبادة لم يتعبد بها رسول الله ﷺ فأنكر عليهم النبي ﷺ وقال: «**أما إني أخشاكم لله وأتقاكم**» ثم قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٧]، فهو في ترك السنة وهي السُنة التي تركها، فتركه سُنة كما أن فعله سُنة.

ومن الأدلة على السنة التركية ما روى مسلم[٨] أنه لما كان يخطب بشر بن مروان وكان إذا أراد أن يدعو رفع يديه فقال عمارة بن رؤيبة رضي الله عنه: قبح الله هاتين اليدين، والله ما رأيت رسول الله ﷺ يزيد في الدعاء على أن يشير بأصبعه السبابة. فاستدل بتركه ﷺ.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٠٣)، مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٧١، ١٧٢)، والقواعد النورانية (ص ١٥٠).

(٢) الرسالة للشافعي (ص ١٩٤).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٦٨).

(٤) الموافقات (٣/ ١٥٦).

(٥) أعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٣٦٥).

(٦) زاد المعاد (١/ ٥٤١).

(٧) صحيح البخاري (٧/ ٢) رقم (٥٠٦٣)، وصحيح مسلم (٤/ ١٢٩) رقم (١٤٠١).

(٨) صحيح مسلم (٣/ ١٣) رقم (٨٧٤).

وخرّج الدارمي[١] وابن وضاح[٢] وغيرهما أن أناسًا كان مجتمعين يقول أحدهم: سبحوا الله مائة، فيكبرون مائة، ويسبحون مائة بهذه الحصى، فلما علم بذلك عبد الله بن مسعود أنكر عليهم، واستدل بأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك؛ قال: (**هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر**) يعني أأنتم سابقون إلى خير لم يسبق إليه النبي ﷺ وأصحابه أم أنكم مفتتحو باب ضلالة فاستدل بترك النبي ﷺ وأصحابه.

التنبيه الثالث: إذا تعارض النص العام أو القياس مع السُنة التركية فيكون فاسدًا، والسُنة التركية تُخصص اللفظ العام، وهذا من القواعد المهمة وبها يرد على بدع كثيرة، وقد تقدم الكلام عليها.

التنبيه الرابع: **السُنة التركية نوعان:**

النوع الأول: أن يرد عن النبي ﷺ أو صحابته النفي كأن يقولوا: ما كان النبي ﷺ يفعل كذا وكذا.

وقد ثبت في مسلم عن جابر بن سمرة قال: (**صليت مع النبي ﷺ العيد غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة**)[٣]، هذه سُنة تركية بنفي الصحابي.

النوع الثاني: ألا يرد النفي عن الصحابي لكن تتوافر الدواعي والهمم للنقل فلا يُنقل، فإنه لو كان دينًا وخيرًا لنُقل؛ فإن دين الله محفوظ.

قال ابن القيم: "**فإن قيل من أين لكم أنه لم يفعله وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم؟ فهذا سؤالٌ بعيد جدًا عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه، ولو صحَّ هذا السؤال وقُبِل لا ستحبَّ لنا مستحبٌّ الأذان للتراويح، وقال من أين لكم أنه لم يُنقل؟ واستحبّ لنا**

---

(١) مسند الدارمي (١/ ٢٨٦) رقم: «٢١٠».

(٢) البدع والنهي عنها (ص ٣٥، ٣٨) رقم: «٩».

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٩) رقم (٨٨٧).

مستحبٌ آخر الغسل لكل صلاةٍ وقال من أين لكم انه لم يُنقل؟ واستحبَّ لنا مستحبٌّ آخر النداء بعد الأذان للصلاة يرحمكم الله ورفع بها صوته وقال " من أين لكم أنه لم يُنقل؟ واستحبّ لنا آخرُ لبس السواد والطرحة للخطيب وخروجه بالشاويش يصيح بين يديه ورفعُ المؤذنين أصواتهم كلما ذكر اسم الله واسم رسول الله ﷺ جماعةً وفُرادى وقال من أين لكم أن هذا لم يُنقل؟ واستحبَّ لنا آخر صلاة ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب وقال من أين لكم أن إحياءهما لم يُنقل؟ وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا إلى باب بدعة من أين لكم أن هذا لم يُنقل"[1].

التنبيه الخامس: معرفة الضابط في التفريق بين الوسائل المحدثة والوسائل الشرعية مهم، وقد تقدم.

قال الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى) ورد في دليل واحد ثلاثة أمور: الصلاة، الزكاة، تفسير كلمة التوحيد، (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ﴾) وتقدم بيان معنى الحنيف.

قال: (﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]).

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٣٦٦).

(المتن)

(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إِلٰه إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]).

(الشرح)

المرتبة الثانية الإيمان، والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان، وكما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد فكذلك الكفر قول وعمل واعتقاد، فأهل السُنة يُكفرون بالأقوال والأعمال والاعتقاد، وقد حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه كما نقله المروزي في كتابه **"تعظيم قدر الصلاة"**[١].

قال المصنف: (بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله**

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٣٠).

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١] أما البخاري فقال: «**بضع وستون**»[٢] وفي رواية في مسلم: «**بضع وسبعون أو بضع وستون**»[٣].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ**) أي أركان الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، والفرق بين أن الإيمان قول وعمل واعتقاد إلى آخره وبين هذه الأركان الستة أن هذه الأركان الستة فيما يُؤمن به، أما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد فالنظر فيه لذاته فهو في نفسه قول وعمل واعتقاد إلى آخره.

قال الشيخ: (**وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾** [البقرة: ١٧٧]).

هذه الآية ذكرت خمسة أمور وقد جعل ابن القيم في كتابه "**مفتاح دار السعادة**"[٤] أصول الإيمان خمسة بناءً على آية "**البقرة**"، وأسقط الإيمان بالقدر، وذلك -والله أعلم- أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بالقدر؛ لأن القدر فعلُ الله ﷻ كما قال ذلك الإمام أحمد فيما نقله ابن القيم في كتابه "**بدائع الفوائد**"[٥]، أما الإمام المجدد المصلح فجعل أركان الإيمان ستة كحديث جبريل.

قال المصنف: (**ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر: ٤٩]) فهذه الآية مع آية "**البقرة**" تدل أن أصول الإيمان ستة، وسواء قيل خمسة أو ستة فالأمر سهل.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٦) رقم (٣٥).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١١) رقم (٩).

(٣) نفس اللفظ السابق لمسلم. والرواية الثانية: صحيح مسلم (١/ ٤٦) رقم (٣٥).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٤٢).

(٥) بدائع الفوائد (١/ ٣٣٧).

(المتن)

(الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، وله رُكْنٌ وَاحِدٌ. كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلٰه إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»).

(الشرح)

قول الإمام المجدد: (الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ) رُكْنٌ وَاحِدٌ وهو «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قد جعل الإمام المجدد الإحسان ركنًا واحدًا ووجه هذا - والله أعلم- أن ترك استشعار أن الله يرى العبد ترك للإحسان فهذا ركنه الوحيد، أما الإمام ابن رجب في كتابه **"جامع العلوم والحكم"** [1] فجعله مرتبتين:

المرتبة الأولى والأعلى: مرتبة المشاهدة، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه**».

المرتبة الثانية: مرتبة الإخلاص، «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وهي أقل من مرتبة المشاهدة.

والإسلام يتعلق بالأعمال الظاهرة، والإيمان يتعلق بالأعمال الباطنة، والإحسان يتعلق بطريقة فعل الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، فإذًا الإحسان ليس قسيمًا للإسلام والإيمان، وإنما هو طريقة الإيمان والإسلام.

ثم دلل الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ وببقية الآيات، وهذه الآية ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ فيها ثناء على من يُحسن في أداء عمله، والإحسان إما أن يكون على طريقة المشاهدة أو على طريقة الإخلاص.

قال: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] وهذا يرجع إلى درجة الإخلاص؛ لأنه قال: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ ومثل هذا قوله ﷻ: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ**﴾

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٩).

وهذا إحسان لكن على درجة الإخلاص. وقد يقال إنه يرانا لنسعى لتحصيل الأكمل وهو عبادته على درجة المشاهدة فيكون فيه ذكر لمرتبتي الإحسان.

ثم ذكر الإمام المجدد المصلح حديث جبريل المشهور، وهو الذي رواه عمر عن رسول الله ﷺ وفيه ذكر أركان الإسلام الخمسة، وذكر أصول الإيمان الستة، وذكر الإحسان بمرتبتيه المتقدمتين، وهذا هو الشاهد من إيراد هذا الحديث، حتى قال في آخره: «**هذا جبريل أتاكم يُعلمكم أمر دينكم**» فدل على أن هذه الأمور كلها هي الدين كله، ومن أتى بها أتى بالدين كله.

(المتن)

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ).

(الشرح)

هذا هو الأصل الأخير من ثلاثة الأصول، وهذا الأصل في نبينا محمد ﷺ وهو من أقوى ما يُرد به على الذين يطعنون في الدعوة السلفية دعوة الإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحجة أنه لا يُعظم النبي ﷺ أو كما قال بعض خصومه كذبًا وزورًا إنه يقول: إن عصاي التي أتكئ عليها أنفع من محمد ﷺ. إلى آخر كلمات السوء والعياذ بالله.

وهذا الأصل كله عن رسولنا محمد ﷺ، وهو تأصيل حال النبي ﷺ ودعوته التي دعا إليها ﷺ، وهذا المتن وهو **"ثلاثة الأصول"** يُدرس للطلاب في الصف الابتدائي في المدارس النظامية في المملكة العربية السعودية كلها، فكيف يزعم أن الوهابية-كما يقولون- لا يحبون النبي ﷺ وهم الوحيدون الذين يُلزمون أبناءهم بدراسة التوحيد ودراسة الدين، ومنه دراسة ما يتعلق بنبينا محمد ﷺ.

وإلا فلقب (الوهابي) لقب تنفيري ولا أصل له، فإن دعوة الإمام المجدد امتداد لدعوة المجددين والمصلحين، ومرجعه رسول الله ﷺ، وهو يلتزم فهم سلف هذه الأمة، ومن أراد أن يحكي شيئًا خلاف ذلك فليثبته ومن لم يفعل ذلك -ولن يستطيعوا- فليتق الله وليدع هذا اللقب التفيري الساقط.

روى اللالكائي[١] عن الإمام أبي حاتم أنه قال: وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية، يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة.

والعاقل ينظر إلى حقائق الأمور ويدرسها، ولا يكتفي بالألقاب والكلمات التنفيرية كما يُنفر الآن من دعاة السُنة بلقب الجامية، وهذه التنفير لا أصل له وإلا هاتوا لنا أصلًا -عند من يلقبونهم بالجامية- خالفوا ما عليه السلف الصالح، وإنما أراد أهل البدع أن يُنفروا من دعوة أهل الحق بمثل هذه الألقاب.

في خارج السعودية يصفون السلفيين بالوهابية، وفي داخل السعودية يصفونهم بالجامية وبأمثال هذه الألقاب التي هي ألقاب سوء.

والحمد لله الذي لم يجعل كيدهم إلا في ألقاب زور لا أصل لها.

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هو محمد بن عبد الله) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ونسبه متصل بعدنان وهذا بإجماع أهل العلم حكاه الذهبي في كتابه **"تاريخ الإسلام"**[٢]، وابن كثير في كتابه **"الفصول"**[٣]، وابن القيم في كتابه **"زاد المعاد"**[٤]، بل قال الذهبي بالتواتر.

ثم إن نبينا ﷺ كما ذكر المصنف: (من قريش وقريش من العرب) وقريش سُميت بقريش لأسباب اختلف فيها أهل العلم، وقد قيل: إنه مأخوذ من الجمع وهو أن يجتمع الشيء بعضه إلى بعض، فقد اجتمع قريش في مكة بعد تفرقهم فسُموا قريشًا، وقد ذُكرت أمور أخرى في سبب تسميتهم بقريش، وقيل إن قريشًا: أولاد النضر بن كنانة، وقيل: أبناء

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).

(٢) تاريخ الإسلام (١/ ١٩).

(٣) الفصول في سيرة الرسول (ص ٨٧).

(٤) زاد المعاد (١/ ٥٣).

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، والثاني أرجح وهو الأشهر كما ذكر ذلك الشنقيطي في تفسيره[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذلك لما في البخاري عن ابن عباس أنه لما نزل قوله ﷻ: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ أخذ النبي ﷺ يُنادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**»[٢] فأخذ يُناديهم النبي ﷺ، وعدي يرجع إلى فهر، فمرجع قريش كلهم إلى فهر بن مالك.

ثم إن نبينا ﷺ ولد عام الفيل، حكى غير واحد الإجماع كالخياط بن خليفة[٣] وإبراهيم بن المنذر الحزامي[٤]، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "**زاد المعاد**"[٥] وابن قتيبة[٦]، وأخرج ابن سعد[٧] عن ابن عباس **أنه قال: (إن النبي ﷺ ولد عام الفيل)**. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام[٨]: ثبت عنه.

وولد النبي ﷺ في مكة، وهذا بإجماع أهل العلم حكاه ابن القيم في "**زاد المعاد**"[٩].

قال المصنف: (**وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا ورسولًا ﷺ**) ذكرت هذا العمر عائشة كما في الصحيحين[١٠] قالت: إن عمر

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١١١) رقم (٤٧٧٠).

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (ص ٥٢، ٥٣).

(٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٠، ٢٥١)، التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (١/ ١٥٤)، دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٧٩).

(٥) زاد المعاد (١/ ٥٩).

(٦) «أعلام رسول الله المنزلة على رسله» (ص٢٠٣).

(٧) الطبقات الكبرى (١/ ٨١).

(٨) تاريخ الإسلام (١/ ٢٣).

(٩) زاد المعاد (١/ ٥٩).

(١٠) صحيح البخاري (٦/ ١٥) رقم (٤٤٦٦)، وصحيح مسلم (٧/ ٨٧) رقم (٢٣٤٩).

النبي ﷺ ثلاث وستون سنة، وذكر مثل هذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[١].

قال: (نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾) اختلف أهل العلم في ذلك لكن هذا الذي حققه ابن القيم في كتابه "**زاد المعاد**"[٢] ونسبه إلى جماهير أهل العلم أنه ﷺ نُبئ بـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وأُرسل بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

ويلاحظ أن الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ داعية توحيد، لذا يُعلق سيرة النبي بالتوحيد والتحذير من الشرك؛ فعلم الناس أن دعوة رسول الله ﷺ دعوة توحيد، وقد كتب الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ في السيرة كتابين؛ أحدهما كتاب مستقل من تأليفه، والثاني مختصر على "**زاد المعاد**" وله أيضًا رسالة صغيرة "**ستة مواضع من السيرة**"، وكل هذه الكتب إذا قرأتها تجد أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يُعلق الكلام في السيرة بالتوحيد والتحذير من الشرك؛ لأن دعوة النبي ﷺ قائمة على هذا، وقد انتشر الشرك في المسلمين قرونًا، وابتدأ الشرك في أمة محمد في القرن الرابع على أيدي الرافضة -عليهم لعائن الله-، ثم شاع وانتشر في بلاد المسلمين حتى صار الأغلب في بلاد المسلمين.

فلذلك الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان داعية توحيد، ويُعلق كثيرًا من سيرة رسول الله ﷺ بالأمر الذي من أجله أُرسل الرسل أجمعون؛ قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

روى البخاري[٣] من طريق عطاء عن ابن عباس في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: (**أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**) قال: (**فسموها**

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٥٧) رقم (٣٩٠٢)، وصحيح مسلم (٧/ ٨٨) رقم (٢٣٥١).

(٢) زاد المعاد (١/ ٧٠)، (٣/ ١٨٤).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٦٠) رقم (٤٩٢٠).

بأسمائهم) يعني ابتدأوا بهذا الأمر، قال: **(حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت)** فبسبب ذلك أرسل الله نوحًا -عليه السلام- فهو أول المرسلين، وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله-، فالرسل كلهم دعاة توحيد والسبب الرئيس من إرسالهم هو دعوتهم إلى التوحيد.

(المتن)

(نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الَمدِينَة.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا).

(الشرح)

في هذا تأكيد لما سبق ذكره وهو أنه علق السيرة بالتوحيد، ثم لما ذكر ترك الشرك عبر بلفظ البراءة، وسبق أن التعبير بلفظ البراءة أدق من التعبير بلفظ الخلوص والترك، ثم لم يجعل البراءة خاصة بالشرك بل أيضًا من أهل الشرك.

(المتن)

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).

(الشرح)

اختلف العلماء في وقت عُروج النبي ﷺ، وهو وقت فرض الصلاة؛ لأنه على الصحيح لم يُعرج بالنبي ﷺ إلا مرة واحدة كما بينه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه **"زاد المعاد"**[١] ورد على من قال قد أسري به أكثر من مرة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري[٢] عشرة أقوال في وقت الإسراء ومن الأقوال أنه عُرج به ﷺ قبل أن يُهاجر بثلاث سنين -في السنة العاشرة بعد بعثته ﷺ-، وهذا قول ابن الأثير ووصفه الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري[٣] بأنه الأشهر من أقوال أهل العلم وهو الذي اختاره الإمام المجدد المصنف محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) زاد المعاد (١/ ٨٨)، (٣/ ٥٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٠٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٧٠).

(المتن)

(وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ. وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وساءت مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]. وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

(الشرح)

أخرج الحديث أحمد[١] وأبو داود[٢] عن خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن السعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث صححه العلامة الألباني في كتابه "**إرواء الغليل**"[٣].

وأما ما نقله عن البغوي، فقد ذكره البغوي في تفسيره[٤] عن مقاتل بن سليمان والكلبي.

---

(١) مسند أحمد (٢٨/ ١١١) رقم (١٦٩٠٦).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ١٣٦) رقم (٢٤٧٩).

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٣٣).

(٤) تفسير البغوي (٦/ ٢٥١).

وقول الإمام المجدد بوجوب الهجرة، فالهجرة واجبة بإجماع أهل العلم على من لم يستطع إظهار دينه، وقد دلّ على وجوب الهجرة القرآن والسُنة والإجماع.

أما القرآن فقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بهذا كانوا عاصين، ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يستطيعون إظهار دينهم، فمن لم يستطع إظهار دينه ويستطيع الهجرة فالهجرة واجبة عليه بدلالة هذه الآية.

أما السُنة فقد ثبت عند النسائي[١] من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران**»، ثم قال وهذا الشاهد: «**لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملا، أو يفارق المشركين إلى المسلمين**» أي: إلا أن يفارق المشركين إلى المسلمين، بأن يهاجر، وبقية الأحاديث كحديث «**لا تتراءى نارهما**» قد ضعفها كالبخاري[٢]، وإنما المعتمد في السُنة على حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

وأما الإجماع فقد حكاه ابن كثير في تفسيره[٣]، والعيني في "**عمدة القاري**"[٤] وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن كما في "**الدرر السنية**"[٥]، فبهذا دلّ على وجوب الهجرة الكتاب والسُنة والإجماع، لكن هذا لمن لم يكن مستطيعًا إظهار دينه.

وأظهر الأقوال في ضابط إظهار الدين -والله أعلم- ما ذهب إليه الإمام الشافعي[٦] وهو ألا يُفتن المسلم على دينه إذا علم الكفار بإسلامه فمن كانت حاله هكذا فإن الهجرة واجبة عليه، وللعلماء أقوال أخرى لكن هذا أظهرها من جهة الدليل- والله أعلم-.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٦٦) رقم (٢٣٦٠).

(٢) «العلل الكبير للترمذي» (ص٢٦٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٩).

(٤) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٨٠).

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣١٦، ٣٤٧).

(٦) الأم للإمام الشافعي (٤/ ١٦٩).

ومما يدل على ذلك أن الصحابة في الهجرة الأولى ذهبوا إلى الحبشة ولم يعلم أهل الحبشة أنهم كانوا يسفهون دين النصارى وقولهم إن الله ثالث ثلاثة، إلا بعد أن جاء كفار قريش في طلبهم، قالوا: إنهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا إلى آخره، وقد ذكر هذا الشيخ عبد الرحمن السعدي [١].

وفي المسألة بحث ذكرته في كتاب **"قواعد ومسائل في توحيد الإلهية"**.

مسألة: من استطاع إظهار دينه فالهجرة مستحبة لا واجبة، وهذا قول الشافعية[٢] والحنابلة[٣] وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]، وخالف ابن الجوزي[٥] وقال: إن من استطاع إظهار دينه فأيضًا الهجرة واجبة عليه.

وقد يكون ابن الجوزي متمسكًا بظواهر الأحاديث النبوية، وأنها لم تُفرق بين من يستطيع إظهار دينه ومن لا يستطيع، لكن الجواب عن هذا أن لفظ حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده لفظ عام يخصصه مفهوم المخالفة في قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾، فإن مفهوم المخالفة: أن من لم يكن مستضعفًا فليس ظالمًا لنفسه؛ وليست الهجرة واجبة عليه، ومفهوم المخالفة يُخصص اللفظ العام، فبهذا يتضح أن الحديث في حق المستضعف الذي لا يستطيع أن يُظهر دينه.

---

(١) المجموعة الكاملة (٧/ ٦٩).

(٢) المهذب في فقه الإمام الشافعي (٣/ ٢٦٥).

(٣) الإنصاف (١٠/ ٣٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٠).

(٥) الفروع (١٠/ ٢٣٧).

(المتن)

(فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا﴾ [الأعراف: ١٥٨]).

(الشرح)

أما كونه ﷺ لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذر الأمة منه فيدل على ذلك ما في صحيح مسلم[١] أنه قيل لسلمان الفارسي: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخِراءة، فقال: أجل-يعني علمنا حتى الخراءة وهي هيئة الجلوس لقضاء الحاجة- ثم قال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول ...» الحديث.

قوله: إنه بُعث إلى الجن والإنس وإلى الناس كافة، هذه من خصائص دين محمد بن عبد الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث جابر قال ﷺ: «**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة**»[٢].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٥٤) رقم (٢٦٢).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٧٤) رقم (٣٣٥)، وصحيح مسلم (٢/ ٦٣) رقم (٥٢١).

(المتن)

(وَأَكمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا﴾ [المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]).

(الشرح)

ومعنى أن الدين كامل أنه لا يقبل شيئًا من الزيادة كالبدع، ولذلك قال جمع من السلف ما مفاده أن من أحيا بدعة أمات سُنة[١]، ومن باب التقريب الدين كالكأس الملآن تمامًا، فإذا أضيف إليه شيء خرج منه بقدر ما أضيف إليه، ووظيفة أهل العلم أن يدعوا إلى ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون، ومن ذلك أن يُجددوا الدين وأن يُونقوه من كل شائبة ودخيل، وهذه الشوائب تختلف في وضوحها وخفائها وجلائها ودقتها لذلك يحتاج طلاب العلم وأهل العلم أن يكونوا مبرزين في معرفة أحكام الشريعة ودراسة شرع الله حتى يردوا البدع المشتبهة، ومما روى البيهقي في كتابه **"المدخل"**[٢] عن الشافعي أنه قال: **(من تعلم علمًا فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم)** فليُجتهد في تحصيل العلم ومعرفة دقيقه وجليله، وهذا لا يحصل إلا بالجد والاجتهاد، فإن العلم عظيم ودرجته عالية في الدنيا والآخرة، والأمور كلما علت وصعبت كانت درجتها أرفع وأجرها أكثر.

ولو لم يحتج إلى مجاهدة ومشقة لناله كل الناس، قال ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم وفضله"**[٣]: **(قال بعض العلماء: " من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك، وإن لم يكن من أهله)** هذا يدل على عظم العلم، وصدق المتنبي لما قال:

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٧٨.

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٢/ ٧٠٣).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٥١).

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال[١]

إن من أعظم ما يصعب العلم -وإن كان العلم سهلًا- أنه يلزم منه قطع ملذات النفس لتحصيل العلم، فهو من جهة أفراده ليس صعبًا لكن الصعب الاستمرار عليه، والصعب أن إدراكه يحتاج إلى قطع ملذات النفس وهواها، والموفق من وفق لذلك، وإلا فإن النفس أمارة بالسوء، لذا كثير من الناس يصعب عليه العلم، وبعضهم قد يبتدئ ولا يُكمل.

ذكر قوله ﷻ: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾) هذا صريح في القرآن.

(١) الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٦٥)، واللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي (ص ١٠٨٥).

(المتن)

(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ).

(الشرح)

من أسباب ذكر المصنف -والله أعلم- البعث والحساب إلى آخر ذلك أنه وجد من أهل البادية في زمانه من يُنكر البعث والنشور، بسبب كثرة الجهل **لذا كرر هذا** كثيرًا في رسائله.

وقال: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) ثم ذكر قَوْلهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وهذا يدل على أن الحجة تقوم بالرسل لا بالعقل ولا بالفطرة كما يقول المعتزلة: إنه بالعقل تقوم الحجة. فمن قال: إن الحجة تقوم بالعقل فسلفه المعتزلة، وجميع أهل السُنة مخالفون له

وهم مجمعون على أن من كان حديث عهد بكفر أو كان من بادية بعيدة فوقع في الشرك فهو معذور بجهله، حكى الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى[١].

ومن يقول: إن الفطرة أو العقل كافٍ. فلازم قوله أنَّ جميع هؤلاء ليسوا معذورين، فخالفوا بهذا أهل السُنة ووافقوا المعتزلة.

قوله: (وأولهم نوح -عليه السلام-، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) أما أن نوحًا أول الرسل فدلّ عليه ما في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الشفاعة، قال آدم عليه الصلاة والسلام: **" ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض"**[٢]. فهو أول الرسل -عليه السلام-.

أما أول الأنبياء آدم؛ فقد ثبت عند ابن حبان[٣] والطبراني[٤] عن أبي أمامة أن رجلا، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مُكلَّم**»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»، في هذا أن آدم نبيٌ، فأول الأنبياء آدم، وأول الرسل نوح.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٧) رقم (٤٤٧٦)، وصحيح مسلم (١/ ١٢٣) رقم (١٩٣).

(٣) صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع (٤/ ٩٨) رقم: «٣١١٣».

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١١٨) رقم (٧٥٤٥).

(المتن)

(وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ - عَلَيهِ السَّلاَم - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ).

(الشرح)

وجه الدلالة من قوله تعالى-: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده﴾ أنه ذكر نوحًا قبل جميع الأنبياء فدلّ على أنه أول الرسل، ودلالة السُنة التي تقدم ذكرها أوضح.

ثم بيّن الشيخ ما يدعو إليه كثيرًا وهو أن وظيفة الأنبياء الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، واستدل بقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، قال: (وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ) ومعنى الكفر بالطاغوت أن يكفر بكل ما هو كفر، فلا يصح توحيد أحد حتى يكفر بعبادتهم، ويكفر بالشرك، وهذا هو الكفر بالطاغوت وهو الكفر بالشرك والكفر بما هو كفر في الشريعة.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة ابن القيم في تعريفه الطاغوت، قال: (ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع) وهو في كتابه "**أعلام الموقعين**"[١]، فيقول: (**ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع**)، فجعلهم أصنافًا ثلاثة، المعبود كالأصنام والأضرحة وغير ذلك، والمتبوع كالعلماء بأن يُطيعهم في تحليل ما حرّم الله، أو مطاع: كالأمراء بأن يُطيعهم في تحليل ما حرّم الله، فإذا تجاوز العبد الحد في هؤلاء صار طاغوتًا.

فضابط الطاغوت ما تجاوز الإنسان به الحد، لكن لا يُسمى من عُبد طاغوتًا إلا إذا رضي كما سيُبين الشيخ ذلك، وقال جمع من أهل العلم كابن جرير في تفسيره[٢] وشيخنا العلامة محمد بن عثيمين[٣] أنه طاغوت بالنسبة إلى عابديه ولكن ليس طاغوتًا على الإطلاق إذا لم يكن راضيًا، فمن عبد عيسى يُسمى طاغوتًا بالنسبة إلى عابده، وليس ذمًا لعيسى، وإنما ذم لمن عبده، فهذه التسمية بالنسبة إلى عابديه.

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٥٨).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٨).

(المتن)

(وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

(الشرح)

هذا الحديث أخرجه الترمذي[١] وغيره من حديث معاذ، وقد بين ابن رجب في "**جامع العلوم والحكم**"[٢] أنه لا يصح عن النبي ﷺ.

قال المصنف: (وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ) فليسوا محصورين في عدد معين، وإنما كل ما تجاوز به الحد، لكن قال: (وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ) خصّ أهمهم وهم هؤلاء الخمسة:

الأول: قال: (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ) جاء في حديث النهي عن لعن إبليس لكن لا يصح، وإنما الذي ثبت ما في مسلم[٣] عن أبي الدرداء أن الشيطان أراد أن يقطع على النبي ﷺ صلاته، قال: «**ألعنك بلعنة الله**» ثلاثًا. فدلّ هذا على جواز لعن إبليس. ذكره أولهم؛ لأنه أغوى بني آدم فأوقعهم في الكفر فصار طاغوتًا.

الثاني: وقال: (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) بقيد أن يكون راضيًا، فكل من عُبد وهو راض فهو طاغوت.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٣٦٢) رقم (٢٦١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٣٥).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٧٣) رقم (٥٤٢).

الثالث: قال: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) فكل من دعا الناس لعبادته فهو طاغوت، ولازم ذلك أن يكون راضيًا فلا يحتاج أن يشترط الرضا بخلاف من عُبد، فقد لا يكون راضيًا وقد يرضى، فإن رضي فهو من رؤوس الطواغيت، وقد تقدم أن العبادة خاصة بالله، وأن صرفها لغير الله شرك أكبر.

الرابع: قال: (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) إن علم الغيب في المستقبل خاص بالله، وقد يُطلع الله عليه بعض رسله، كما قال ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وقد يكون الرسول رسولًا ملكيًا أو بشريًا، فيطلعهم على بعض علم الغيب أحيانًا لا دائمًا وليس باختيارهم وإنما إذا أراد الله ﷻ، لذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل: ٦٥].

تنبيه: اعتقاد أن علم الغيب في المستقبل خاص بالله لا يتنافى مع دلالة الرؤى والمنامات على أشياء في المستقبل كما قال ابن رجب[1] لأن الرؤى ظن، والذي اختص الله به ونفاه عن غيره هو علم الغيب على وجه القطع وغلبة الظن، أما مطلق الظن فإنه ليس منفيًا، لذا علم الغيب خاص بالله -سبحانه وتعالى-.

ومثل ذلك أيضًا معرفة المستقبل عن طريق الفراسة الدينية فإن الفراسة أنواع ثلاثة:

الأول/ **فراسة دينية إيمانية.**

الثاني/ **فراسة خلقية.**

الثالث/ **فراسة رياضية.**

---

(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢١٦) (٩/ ٢٦٩).

وقد ذكر هذه الأنواع الثلاثة ابن القيم في كتابه "**مدراج السالكين**"[١] وابن أبي العز الحنفي في شرحه على "**الطحاوية**"[٢].

فقد يُطلع الله على بعض المغيبات عن طريق الفراسة فيُدرك صاحبها شيئًا لا يُدركه غيره، كما ثبت في الموطأ[٣] عن أبي بكر الصديق أنه أوصى عائشة بأختيها وأخويها، قالت: (**أخواي فقد عرفتهما**) تعني عبد الرحمن ومحمدًا، أما أختاي فلاتعرف إلا أسماء قال: **هي التي في بطن بنت خارجة -يعني زوجته حبيبة بنت خارجة- وسميت البنت أم كلثوم**، وهذه فراسة دينية؛ يطلع الله عبده على شيء لا يطلع غيره عليه.

وذكر ابن القيم في "**مدارج السالكين**"[٤] أن رجلًا قال: دخلت على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكنت رأيت امرأة في الطريق وتأملت محاسنها. فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر في عينيه. فقلت: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة.

وهذا من الفراسة الدينية ومن الظن الذي لا يتنافى مع اختصاص الله بعلم الغيب.

ومن الفراسة الفراسة الرياضية فتكون بتجويع النفس وغير ذلك فتجعل عند أصحابها دقة وحدة في الذهن فيُبصر ويُدرك شيئًا لا يدركه غيره وتكون للمسلم والكافر.

ومن الفراسة الفراسة الخلقية، يذكر أصحاب علم الفراسة أمورًا ظنية وعلامات خلقية فيقولون: إذا كان رأس الرجل كبيرًا فيدل على ذكائه وهكذا.. فهذه فراسة.

الخامس: قال: (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ) يريد رَحِمَهُ اللَّهُ ما اشتهر في زمانه من أهل البادية أنهم يحكمون بأعرافهم وسلومهم ويرون هذا الحكم خيرًا من حكم الله، لذا ذكر في

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٥٣).

(٣) موطأ مالك - رواية أبي مصعب الزهري (٢/ ٤٨٣) رقم (٢٩٣٩).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٥).

نواقض الإسلام[١] أن من حكم بغير ما أنزل الله على أنه أحسن من دين الله، فهو يتكلم عما اشتهر في زمانه من أهل البادية وغيرهم بأنهم يحكمون بسلومهم وأعرافهم وأمور اتفقوا عليها ويرونها أحسن من حكم الله، وهذا كفر بالإجماع.

ولا يصح أن يتمسك أحد بظاهر هذا الكلام فينسب للإمام المجدد أنه يُكفر بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله لسببين:

السبب الأول: أن التكفير بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله أو حتى بالقوانين الوضعية هو قول الخوارج، ذكر هذا الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"الدمعة البازية"**[٢]، ولما سئل في مجموع فتاواه[٣] عن رأي الشيخ محمد بن إبراهيم في الحكم بغير ما أنزل الله قال: هو كقول بقية أهل السُنة لا يُكفر إلا بالاعتقاد. فنسب ذلك إلى أهل السُنة[٤].

السبب الثاني: واقع الحال الذي تقدم ذكره.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾) وقد خرج أناس في زماننا وغالوا فيما يُسمى بالحرية تمسكًا بقوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وهذا من الباطل والزور؛ لأن الآية منسوخة بآيات الجهاد وغيرها، وقيل: إنها خاصة بأهل الكتاب إذا دعوا إلى الجزية

---

(١) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (ص ٣٨٦).

(٢) «الدمعة البازية». **قال الشيخ ابن باز**: فاسق وظالم وكافر هذا إذا كان مستحلا له، أو يرى أنه ماهو مناسب، أو يرى الحكم بغيره أولى، المقصود أنه محمول على المستحل، أو الذي يرى بعد ذا أنه فوق الاستحلال يراه أحسن من حكم الله، أما إذا كان حكم بغير ما أنزل الله لهواه يكون عاصيا مثل من زنا لهواه لا لاستحلال، عق والديه للهوى، قتل للهوى يكون عاصيا، أما إذا قتل مستحلا، عصى والديه مستحلا لعقوقهما، زنا مستحلا : كفر، وبهذا نخرج عن الخوارج، نباين الخوارج يكون بيننا وبين الخوارج حينئذ متسع ولا ـ بتشديد اللام بمعنى أو ـ وقعنا فيما وقعت فيه الخوارج، وهو الذي شبه على الخوارج هذا، الاطلاقات هذه.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٢٧١).

(٤) المصدر السابق، وانظر مقال: (عدم تكفير العلامة محمد بن إبراهيم وجده العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بالتشريع العام): https://www.islamancient.com/ar/?p=37631

فدفعوا الجزية، فلا يلزمون بالدخول في الإسلام ويُكتفى بأخذ الجزية منهم، ذكر هذين القولين ابن كثير في تفسيره[١]، وشيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاواه[٢].

فلا يصح أن يستدل بهذه الآية وترد جميع نصوص الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى جاء من قال: لا يُلزم الناس بأن يتركوا كذا من المحرمات ولا أن يفعلوا كذا من الواجبات بحجة قوله تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. أين هو من النصوص الكثيرة المتكاثرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، أين هو من النصوص الكثيرة في الأمر بالجهاد في سبيل الله؟

وحقيقة حال هؤلاء أنهم مبطلون ملبِّسون.

ثم مما يدل على بطلان قولهم ما ثبت عند ابن الأنباري -نسبه له ابن حجر وصححه في كتابه "**الإصابة**"[٣] -أن صبيغ بن عسل وكان سيدًا في تميم -انظر إلى منزلته- كان يتتبع المتشابه، فأخذه عمر رضي الله عنه وضربه فلم يمنع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ كلا؛ بل عمل عمر بن الخطاب بالأدلة الكثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن حق الشريعة وحفظها مقدم على حقوق الناس.

فمن دعا إلى حرية دعا إلى لفظ مجمل، فالحرية المقبولة هي التي ضُبطت بضابط الإسلام، وبزمام الدين، وإلا نحن عبيد لله، والعبد لا يخرج عما يريد سيده، فلنا من الحرية ما جعلها لنا سيدنا وَجَلَّ.

ثم قال: (وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ) لأن في الآية نفيًا وإثباتًا ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ﴾ فهي متضمنة للنفي والإثبات، ثم ذكر الحديث.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٣).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣/ ١٩٨) و(٥/ ٤٠٨).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٧١).

أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجزي هذا الإمام المجدد عنا خيرًا؛ فوالله نحن في خير عظيم بفضل الله -عز وجل- أولًا ثم بفضل دعوة هذا الإمام المجدد، وقد انتشرت دعوته في العالم الإسلامي بل شاعت في العالم كله، أسأل الله أن يجزي هذا الإمام المجدد خيرًا على ما قام به، وأن يجزي الإمام محمد بن سعود وذريته خيرًا على نصرتهم لهذه الدعوة المباركة.

فهرس المراجع والمصادر

١. **الإبانة الكبرى لابن بطة**، دار الراية – الرياض.

٢. **إثبات عذاب القبر للبيهقي**، دار الفرقان – ط١.

٣. **اجتماع الجيوش الإسلامية**، دار عطاءات العلم – ط٤.

٤. **الإحكام في أصول الأحكام للآمدي**، المكتب الإسلامي – ط٢.

٥. **الإخنائية**، دار الخراز، جدة – ط١، ت: العنزي.

٦. **إرشاد الفحول للشوكاني**، دار الكتاب العربي – ط١.

٧. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، المكتب الإسلامي – ط٢.

٨. **الاستغاثة في الرد على البكري**، دار المنهاج – ط١.

٩. **الاستغاثة في الرد على البكري**، ط المطبعة السلفية.

١٠. **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية – ط١.

١١. **أضواء البيان**، دار عطاءات العلم – ط٥.

١٢. **الاعتصام للشاطبي**، دار ابن عفان – ط١، ت: الهلالي.

١٣. **أعلام السنة المنشورة**، وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية – ط٢.

١٤. **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، دار عطاءات العلم – ط٢.

١٥. **أعلام رسول الله المنزلة على رسله**، لابن قتيبة، دار الصميعي – ط١.

١٦. **اقتضاء الصراط المستقيم**، دار عالم الكتب – ط٧.

١٧. **الأم للشافعي**، دار الفكر – ط٢.

١٨. **أمالي الزجاج**، دار الجيل – ط٢.

١٩. **الأمثال السائرة في شعر المتنبي**، مكتبة النهضة – ط١.

٢٠. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية**، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية – ط١.

٢١. **الإنصاف في معرفة الراجح والخلاف**، دار هجر – ط١، ت: التركي.

٢٢. **الإيمان لابن منده**، مؤسسة الرسالة – ط٢.

٢٣. **بدائع الفوائد**، دار عطاءات العلم – ط٥.

٢٤. **البدع والنهي عنها**، لابن وضاح، مكتبة ابن تيمية – ط١.

٢٥. **تاريخ الإسلام للذهبي**، المكتبة الوقفية – القاهرة.

٢٦. **التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة – السفر الثالث**، الفاروق الحديثة – ط١.

٢٧. **تاريخ خليفة بن خياط**، دار القلم، ومؤسسة الرسالة – ط٢.

٢٨. **التخويف من النار**، دار الفاروق الحديثة – ط١.

٢٩. **تطهير الجنان والأركان عن أدران الشرك والكفران**، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية – ط١.

٣٠. **تعظيم قدر الصلاة للمروزي**، مكتبة الدار – ط١.

٣١. **تفسير ابن أبي حاتم**، مكتبة نزار مصطفى الباز – ط٣.

٣٢. **تفسير ابن كثير**، دار طيبة – ط٢، ت: سامي السلامة.

٣٣. **تفسير البغوي**، دار طيبة للنشر – ط٤.

٣٤. **تفسير السمرقندي**، (المكتبة الشاملة).

٣٥. **تفسير الطبري**، دار هجر – ط١، ت: عبد الله التركي.

٣٦. **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية – ط٢.

٣٧. **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨. **التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة**، دار طيبة – ط١.

٣٩. **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي – ط١.

٤٠. **تهذيب سنن أبي داود**، دار عطاءات العلم – ط٢.

٤١. **تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد**، المكتب الإسلامي – ط١.

٤٢. **جامع العلوم والحكم**، مؤسسة الرسالة – ط٧، ت: شعيب الأرنؤوط.

٤٣. **جامع المسائل لابن تيمية**، دار عطاءات العلم – ط٢.

٤٤. **جامع بيان العلم وفضله**، دار ابن الجوزي – ط١.

٤٥. **جلاء الأفهام**، دار عطاءات العلم – ط٥.

٤٦. **حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم**، دار الزاحم – ط٢.

٤٧. **الدر النضيد للشوكاني**، دار ابن خزيمة.

٤٨. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ت: عبد الرحمن قاسم – ط٦.

٤٩. **دلائل النبوة للبيهقي**، دار الكتب العلمية – ط١.

٥٠. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، دار المعرفة – ط٤.

٥١. **الدمعة البازية**، https://www.islamancient.com/ar/?p=37587

٥٢. **الرسالة للشافعي**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ت: أحمد شاكر.

٥٣. **الروح – لابن القيم**، دار عطاءات العلم – ط٣.

٥٤. **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي – ط١.

٥٥. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار عطاءات العلم – ط٣.

٥٦. **سنن ابن ماجه**، دار الصديق – ت: عصام موسى هادي.

٥٧. **سنن أبي داود**، دار الرسالة العالمية – ط١، ت: شعيب الأرنؤوط.

٥٨. **سنن الترمذي**، دار الغرب الإسلامي – ط١، ت: بشار عواد.

٥٩. **السنن الكبرى للنسائي**، مؤسسة الرسالة – ط١.

٦٠. **سنن النسائي**، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة.

٦١. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي، دار طيبة – ط٨.

٦٢. **شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي**، مؤسسة الرسالة – ط١٠، ت: الأرنؤوط.

٦٣. **شرح النووي على مسلم**، دار إحياء التراث العربي – ط٢.

٦٤. **شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين**، دار الثريا – ط٤.

٦٥. **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى)**، مكتبة العلوم والحكم – ط١.

٦٦. **الشريعة للآجري**، دار الوطن – ط٢.

٦٧. **شعب الإيمان للبيهقي**، مكتبة الرشد – ط١.

٦٨. **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، طبعة الحرس الوطني السعودي.

٦٩. **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، مؤسسة الريان – ط١.

٧٠. **صحيح ابن حبان**، دار ابن حزم – ط١.

٧١. **صحيح البخاري**، الطبعة السلطانية.

٧٢. **صحيح مسلم**، الطبعة التركية.

٧٣. **الصلاة**، لابن القيم، دار عطاءات العلم – ط٤.

٧٤. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، دار عطاءات العلم – ط١.

٧٥. **صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان**، المطبعة السلفية – ط٣.

٧٦. **طبقات الحنابلة لأبي يعلى**، دارة الملك عبد العزيز – ت: عبد الرحمن العثيمين.

٧٧. **الطبقات الكبرى لابن سعد**، مكتبة الخانجي، مصر – ط١.

٧٨. **العبودية**، لابن تيمية، المكتب الإسلامي – ط٧.

٧٩. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، لابن القيم، دار عطاءات العلم – ط٤.

٨٠. **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، دار العاصمة – ط٢.

٨١. **العلل الكبير للترمذي**، دار عالم الكتب – ط١، ت: صبحي السامرائي.

٨٢. **عمدة القاري بشرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٣. **فتاوى ابن الصلاح**، مكتبة العلوم والحكم – ط١.

٨٤. **فتح الباري لابن حجر**، المكتبة السلفية – مصر.

٨٥. **فتح الباري لابن رجب**، مكتبة الغرباء الأثرية – ط١.

٨٦. **الفروع وتصحيح الفروع**، مؤسسة الرسالة – ط١.

٨٧. **الفصول في سيرة الرسول**، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة دار التراث – ط٣.

٨٨. **قاعدة جامعة في توحيد الله**، لابن تيمية، دار العاصمة – ط١.

٨٩. **قواطع الأدلة في الأصول**، دار الكتب العلمية – ط١.

٩٠. **القواعد النورانية**، دار ابن الجوزي – ط١.

٩١. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، دار ابن الجوزي – ط٢.

٩٢. **كشف الشبهات**، ت: د. عبد المحسن القاسم – ط٢.

٩٣. **اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي**، مركز الملك فيصل للبحوث – ط١.

٩٤. **لوامع الأنوار البهية**، مؤسسة الخافقين – ط٢.

٩٥. **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٩٦. **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز**، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية.

٩٧. **المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي**، بدون طبعة.

٩٨. **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩٩. **المحصول للرازي**، مؤسسة الرسالة – ط٣.

١٠٠. **المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي**، دار اليسر – ط١، ت: عوامة.

١٠١. **مسند أحمد بن حنبل**، مؤسسة الرسالة – ط١.

١٠٢. **مسند الدارمي**، دار المغني – ط١، ت: حسين أسد.

١٠٣. **معاني القرآن وإعرابه للزجاج**، دار عالم الكتب – ط١.

١٠٤. **المعجم الكبير للطبراني**، مكتبة ابن تيمية – ط٢.

١٠٥. **المعرفة والتاريخ**، رئاسة ديوان الأوقاف العراقية – ط١، ت: العمري.

١٠٦. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، دار الفكر – ط٦.

١٠٧. **مفتاح دار السعادة**، دار عطاءات العلم – ط٣.

١٠٨. **مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٠٩. **منهاج السنة النبوية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ط١.

١١٠. **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، دار الكتب العلمية.

١١١. **الموافقات للشاطبي**، دار ابن عفان – ط١.

١١٢. **موطأ مالك**، رواية أبي مصعب الزهري، مؤسسة الرسالة – ط١، ت: بشار.

١١٣. **النبوات**، لابن تيمية، مكتبة أضواء السلف – ط١.